
ح محمد بن عبدالله المقدي، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المقدي ، محمد عبدالله

الحجرة النبوية / محمد عبدالله المقدي- الدمام ، ١٤٣٥هـ

٩١ ص، ٢٢ x ٢٠سم

ردمك : ١-٤١٩٥-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- زوجات النبي ٢- السيرة النبوية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩,٧ ١٤٣٥/١٥٩٢

رقم الإيداع : ١٤٣٥/١٥٩٢

ردمك : ١-٤١٩٥-٠١-٦٠٣-٩٧٨

موقع الصوفية



www.alsoufia.com

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤م

نشر وتوزيع

دار صفا جيزان



المملكة العربية السعودية - جازان - شارع بترومين - ص ب٦٦٢٨٢

الرمز البريدي ٣١٥٧٦- الهاتف ٠٥٠٦٧٨٨٩٥٣



بِهَا حُجُـرَاتٌ كَـــانَ يَنْزِلُ وَسَــطَهَا ··· مِنْ اللّٰهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُهَا ··· أَتَاهَا الْبِلَى فَالْآيُ مِنْهَا تَجَدّدُ

الهجرة النبوية

بقلم: محمد بن عبد الله المقدي
E-mail:almagdy3@gmail.com

تقديم
د. عبد العزيز آل عبد اللطيف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

وبعد:

أحسن الشيخ الباحث محمد بن عبد الله المقدي في إعداد هذا البحث الموسوم بـ«الحجرة النبوية»، حيث تحدَّث عمَّا كانت عليه الحجرة النبوية في الماضي، وما صارت إليه في الحاضر، وساق - في ثنايا البحث - تقريرات شرعية جليلة، وسرد حوادث تاريخية مهمة، وأورد طرفًا مفيدًا من جهود العلماء في سدِّ ذرائع الشرك، بأسلوب واضح، وعرض ماتع.

ولعل هذا البحث يزيل الغبش، ويرفع اللبس الذي شغب به بعضهم، وأشكل على آخرين.

فجزى الله أخانا السيد محمد المقدي خيرًا،وبارك الله فيه، وفي كتابه.

وبالله التوفيق.

الشيخ د .عبد العزيز آل عبد اللطيف.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له قيوم السماوات والأرضين، ومالك يوم الدين، الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عز إلا في التذلل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا هدى إلا في الاستهداء بنوره، ولا حياة إلا في رضاه .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإمامًا للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته وتعزيزه وتوقيره ومحبته، وبعد:

ضع يدك في يدي لنطوف على أحداث قصة الإيمان منذ كانت الأرض بلقعًا[1] من الهداية والنور فبعث محمداً ﷺ لينفخ فيها روحًا جديدة.

انطلق ﷺ من الواقع الأليم في مكة لينشر الهداية على جنبات طريق هجرته إلى المدينة، بعد أن عاشت البشرية ردحًا من الزمان بدون روح، وما بين مكة والمدينة كتبت الحضارة تأريخ فجر جديد.

في مدينة النخيل ... مدينة القلوب النضرة، سكن قلبه وأورقت عيناه، فهذا المكان مكانه ..والمدينة مدينته.. والأهل أهله..، دخل فأضاء منها كل شيء أزقتها ..طرقاتها .. شجرها ..وجبالها.. وغُدرها.

في المدينة التي تحيط بها الحرّات سكن محمد ﷺ مدينة الثمار اليانعة والقلوب المتوثبة عاش سني حياته معلمًا هاديًا قدوةً في كل أحواله (كانت عيون من حوله راصدةً شديدة الدقة والملاحظة، حتى الظلام لم يكن ساترًا .. والحيطان لم تكن طويلة لتحجب حياته الخاصة)[2].

في قصة الإيمان نسير خلف محمد ﷺ من مكة للمدينة لمسجده ... لحجرته ... نلتمس قصة الهداية، ونتجول في جنبات التاريخ، ونجتزئ من حياته العامرة صورة واحدة نستجلي عبق التاريخ فيها، ونبحث في أخبارها ونجول في جنباتها إنها قصة الحجرة النبوية كيف كانت...؟

وكيف صارت...؟

وفي جواب السؤالين تأريخ طويل ..

محمد بن عبد الله المقدي

Almagdy3@hotmail.com

twitter.com/almagdy3

almagdy3@gmail.com

صندوق البريد

٦٦٢٨٢

الرمز البريدي

٣١٥٧٦

(١) خاوية من كل خير، انظر تاج العروس، (٢٠/ ٣٦٠).

(٢) اليوم النبوي، ص(١٢).

الجزيرة العربية قبل البعثة

نبدأ القصة من أولها حيث لا مكة ولا بيت بل أرض يباب، جاءها إبراهيم عليه السلام مصطحبًا زوجه وابنه وتركهما وقفل راجعًا إلى فلسطين، وأنبع الله تحت قدمي إسماعيل عليه السلام ماء زمزم، وتدور الأيام فيأمر الله نبيه إبراهيم ببناء الكعبة الشريفة والبيت المعظم على أساس التوحيد الخالص من شوائب الشرك، بنى إبراهيم وإسماعيل البيت يقول الله جل وعلا: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

قال ابن كثير – رحمه الله – : (أُمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، أن يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له للطائفين به والعاكفين عنده، والمصلين إليه من الركع السجود)[١].

وقد عمل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام على تحقيق العهد بالدعوة إلى الله وحده لا شريك له، وبيان شرائع الدين وأحكامه للناس، فبُني البيت على التوحيد وحُرس من الشرك.

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠]. ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣].



قصد البيت جموع المؤمنين على رأسهم الأنبياء والمرسلين ملبين داعي الله: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَمَرَرْنَا بِوَادٍ فَقَالَ: «أَىُّ وَادٍ هَذَا». فَقَالُوا: وَادِى الأَزْرَقِ. فَقَالَ: «كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعْرِهِ وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِى أُذُنَيْهِ لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِى». قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ فَقَالَ «أَىُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ». قَالُوا هَرْشَى أَوْ لِفْتٌ. فَقَالَ: «كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِى مُلَبِّيًا»[٢]، إنه مأرز الإيمان، ورياض الصالحين، وسلوة المتقين، ومهوى أفئدة المؤمنين.

---

(١) تفسير ابن كثير، (١/ ٣٢٠).

(٢) رواه مسلم، (١٦٦).

إلا أن تطاول الزمان وموت العلماء وفشو الجهل كان مرتعًا خصبًا للبعد عن الديانة وما يتبع ذلك من الكفر والشرك، وبدأ التغيير والتبديل والتحريف، وبدأت معالم الحنيفية السمحة تنمحي من نفوس الناس وحياتهم، ولم يبق منها سوى بقايا من أهل الكتاب.

اجتاحت العالم كل معاني الجاهلية، سوء في الاعتقادات وفساد في العبادات عُبدت الأصنام والأوثان بل والحجارة والأشجار، فحال أصحابه كما قال رب العالمين: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [يونس: ١٨].

كان المشركون يعبدون الأصنام والأوثان ويجدون فيها السلوى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

يصف البشير النذير ﷺ ذلك الواقع بقوله : (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقَتَهم، عَرَبَهُم وعَجَمهم، إلا بقايا من أهَل الكتاب ...)[١].

تُرى ما الذي أوصلهم إلى هذا الحال؟!

***

(١) رواه مسلم، (٢٨٦٥).

نظرة على الواقع

الأصنام

جلب عمرو بن لحي الخزاعي الأصنام من بلاد الشام إلى جزيرة العرب بعد أن بهرته فأغرى العرب بعبادتها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السيوب»[1].

كانوا يعبدونها: ويتقربون لها، ويذبحون عندها، ويعظمونها، وهي من صنع أناس مثلهم من البشر، وأحيانًا تكون من صنع أيديهم: من التمر، أو الطين، أو غيرها، وكان عدد الأصنام التي حول الكعبة المشرفة حوالي ٣٦٠ صنمًا، قال تعالى واصفًا أولئك الجاهليين: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥].

الطيرة

كانت الطيرة منتشرة فإذا أراد أحدهم زواجًا، أو سفرًا، أو تجارة: ألقى طيرًا في السماء، فإن ذهب يمينًا: مضى في أمره، واعتقد فيه الخير والنفع، وإن ذهب الطير شمالًا: أحجم عن أمره، وترك المضي فيه، واعتقد فيه الشرَّ!

وإذا سمع أحدهم صوت بومة، أو رأى غرابًا: ضاق صدره، واعتقد أنه سيصيبه ضرر أو أذى في يومه، وكانوا لا يتزوجون في شوال؛ اعتقادًا منهم بأنه لن يُكتب لزواجهم النجاح.

القتال

وكانوا يقتتلون فيغزوا بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا، لأتفه الأسباب، وتطول الحروب بينهم لأعوام عديدة، فيُقتل الرجال، وتُسبى النساء والأطفال.

ومن ذلك: «حرب البسوس» التي دامت ثلاثين سنة، بسبب أن ناقة وطئت بيضة قبَّرة - نوع من أنواع الطيور - فكسرتها، ومنها: «حرب داحس والغبراء»، وقد دامت أربعين سنة، بسبب أن فرسًا غلبت أخرى في السبق .

---

(١) رواه مسلم، (٧٣٧٢).

الأخلاق

كانوا لا يتنزهون: عن الخبائث، فيأكلون الميتة، ويشربون الدم.

وقد كان غير القرشيين يطوفون بالكعبة عراة نساء ورجالًا، إن لم يمن عليهم القرشيون بثياب من عندهم، ويعتقدون أن ثيابًا عُصي الله فيها لا تصلح أن يطاف فيها، وتقول قائلتهم: (اليوم يبدو كله أو بعضه وما بدا منه فلا أحلّه!)، في إشارة إلى جسدها.

الجهل

كان الجهل فاشيًا، والظلم جاثمًا، والفوضى ضاربة بأطنابها في كل مكان، حقوق مسلوبة، حياة بغير قانون، ولا تشريع ولا تنظيم، سوى بعض العادات، والأعراف القبلية.

ومع هذه الصورة القاتمة فالمجتمعات العربية قبل الإسلام لم تكن مجتمعات إلحادية تنكر وجود الله، ولا مجتمعات تجهل أن هناك ربًّا خالقًا رازقًا، كان فيهم بقايا من دين إبراهيم عليه السلام، وكانت هناك علاقات باليهود والنصارى.

ولكنهم لا يُفردون الله بالعبادة وحده دون سواه، بل يشركون معه الآلهة التي يعبدونها، ويعبدونها بحجة أنها وسائط بينهم وبين الله، تقربهم إلى الله، ولذلك قال الله عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فهذا يدل على اعترافهم بأن الله هو الخالق.

ويقول سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥]، في آيات عديدة تدل على إيمانهم بتوحيد الربوبية، وإنما كان شركهم في الألوهية كما قال عز وجل عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، أي يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله.

وخلاصة القول أن البشرية قبل بعثة النبي الخاتم ﷺ كانت تعيش في ضلالات الجهل والشرك والإلحاد، وكان العرب جزءًا من تلك البشرية الغارقة في الانحطاط، والتي تحتاج إلى من ينقذها وينتشلها مما هي فيه.

بقايا من خير

وعلى الرغم من أن أهل الجاهلية كانت فيهم دنايا ورذائل وأمور ينكرها العقل السليم ويأباها الوجدان، لكن كانت فيهم من الأخلاق الفاضلة المحمودة ما يروع الإنسان ويفضى به إلى الدهشة والعجب، فمن تلك الأخلاق :

١ ـ الكرم: وكانوا يتبارون في ذلك ويفتخرون به، وقد استنفدوا فيه نصف أشعارهم بين ممتدح به ومُثْن على غيره، فكان الرجل يأتيه الضيف في شدة البرد والجوع وليّس عنده من المال إلا ناقته التي هي حياته وحياة أسرته، فتأخذه هزة الكرم فيقوم إليها، فيذبحها لضيفه.

كانوا يتحملون الديات الهائلة، يكفون بذلك سفك الدماء، وضياع الإنسان، ويمتدحون بها مفتخرين على غيرهم من الرؤساء والسادات.

٢ ـ الوفاء بالعهد: فقد كان العهد عندهم دينًا يتمسكون به، ويستهينون في سبيله قتل أولادهم، وتخريب ديارهم.

٣ ـ عزة النفس والإباء عن قبول الخسف والضيم: وكان من نتائج هذا فرط الشجاعة وشدة الغيرة، وسرعة الانفعال، فكانوا لا يسمعون كلمة يشمون منها رائحة الذل والهوان إلا قاموا إلى السيف والسنان، وأثاروا الحروب، وكانوا لا يبالون بالتضحية في هذا السبيل.

٤ ـ المضي في العزائم: فإذا عزموا على شيء يرون فيه المجد والافتخار، لا يصرفهم عنه صارف، بل كانوا يخاطرون بأنفسهم في سبيله.

٥ ـ الحلم، والأناة، والتؤدة: كانوا يتمدحون بها إلا أنها كانت فيهم عزيزة الوجود؛ لفرط شجاعتهم وسرعة إقدامهم على القتال.

٦ ـ السذاجة البدوية، وعدم التلوث بلوثات الحضارة ومكائدها: وكان من نتائجها الصدق والأمانة، والنفور عن الخداع والغدر.

نرى أن هذه الأخلاق الثمينة ـ مع ما كان لجزيرة العرب من الموقع الجغرافي بالنسبة إلى العالم ـ كانت سببًا في اختيار الله ﷻ إياهم لحمل عبء الرسالة العامة، وقيادة الأمة الإنسانية، وإصلاح المجتمع البشري؛ لأن هذه الأخلاق وإن كان بعضها يفضي إلى الشر، ويجلب الحوادث المؤلمة إلا أنها كانت في نفسها أخلاقًا ثمينة، تدر بالمنافع العامة للمجتمع البشري بعد شيء من الإصلاح، وهذا الذي فعله الإسلام.

ولعل أغلى ما عندهم من هذه الأخلاق وأعظمها نفعًا ـ بعد الوفاء بالعهد ـ هو عزة النفس والمضي في العزائم؛ إذ لا يمكن قمع الشر والفساد وإقامة نظام العدل والخير إلا بهذه القوة القاهرة وبهذا العزم الصميم، ولهم أخلاق فاضلة أخرى دون هذه التي ذكرناها، وليس قصدنا استقصاءها[1].



---

(١) الرحيق المختوم، بتصرف يسير، ص(٣٠). انظر للتوسع محمد رسول الله ﷺ لأحمد تيمور باشا ص(٢٤).



الميلاد الجديد

في ذلك التاريخ المخيف، وليله الثقيل، والأرض تحيط بجيدها أيادي الموت، بزغ نور الفجر، وتراجع الليل يجر أذيال الهزيمة، فقطعت أيادي الظلم، وتساقطت الشرفات الزائفة، وكسر إيوان القهر، وأطفئت نيران العبودية، تم عقد الهداية، وازدحمت الصفوف للإيمان به، ورفعت راية الله خفاقة، هدى الله به القلوب والعقول، وأخرج الله به الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن حمأة الرذيلة إلى زينة الفضيلة، ومن التفرق إلى الاجتماع، ومن الجوع واللأواء إلى السعة والغناء، تحول الصعاليك أتباع الكلأ رعاة الغنم إلى علماء فقهاء قادة، كانت الأمة عربية مقودة فأصبحت مسلمة قائدة تتبعها الأمم.

لقد أذن الله تعالى لنبيه أن يبدأ دعوته، وآن للبشرية أن تعرف طريق الحق والهدى بعدما تاهت في طرق الباطل والضلال، ومن رحمة الله بها أن أذن لرسوله الخاتم أن يبلغ الرسالة الخاتمة، رحمة للعالمين، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، يعبدونه لا يشركون به شيئًا.

لقد كانت بعثته ﷺ رحمة للعالمين، كما أخبر بذلك أصدق القائلين: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وثبت عنه ﷺ أنه قال: (إنما أنا رحمة مهداة)[1].

فمن آمن به وصدقه، فاز فوزًا عظيمًا، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١]، ومن أعرض عن هدايته فقد ضل ضلالًا بعيدًا، وخسر الدنيا والآخرة، قال تعالى:

(١) رواه الحاكم في المستدرك، (١٠٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٤٩٠).

﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].

إنَّ بعثته ﷺ كانت ميلادًا جديدًا للبشرية، وتاريخًا عظيمًا للإنسانية، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فببعثته كَمُلَ للبشرية دينها، وتم للإنسانية نعيمها، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣]؛ فكان الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده جميعًا، ولن يقبل الله من أحد دينًا سواه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

دعوته ﷺ استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ



﴿أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، امتن الله بها على الناس لعظيم شأنها ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فدعوته عليه الصلاة والسلام تقوم على هذه المبادئ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

لقد كانت بعثته ﷺ نقلة بعيدة على طريق التغيير، فلقد بدَّل الله به من حال إلى حال، وها هو حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم وقف أمام النجاشي في أرض الحبشة يدافع عن المهاجرين الأول الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم بحثًا عن النور وفرارًا من الظلمات.

قال رضي الله عنه مقارنًا بين أحوال الهداية والنور والعدل، وبين أحوال الظلم والجهل والظلام: (أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.

فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان.

وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وشهادة الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ...)[١].

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦].

(١) رواه أحمد، (١٧٤٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.



محمد ﷺ في مكة

وبعد البعثة أقام النبي ﷺ في مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى عبادة الله وحده سرًّا ثم جهرًا، حيث أمره الله أن يصدع بالحق، فدعا قومه بلين ولطف من غير قتال؛ فأنذر عشيرته الأقربين، ثم أنذر قومه، ثم أنذر من حولهم، ثم أنذر العرب قاطبة، ثم أنذر العالمين، ثم قال سبحانه: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤].

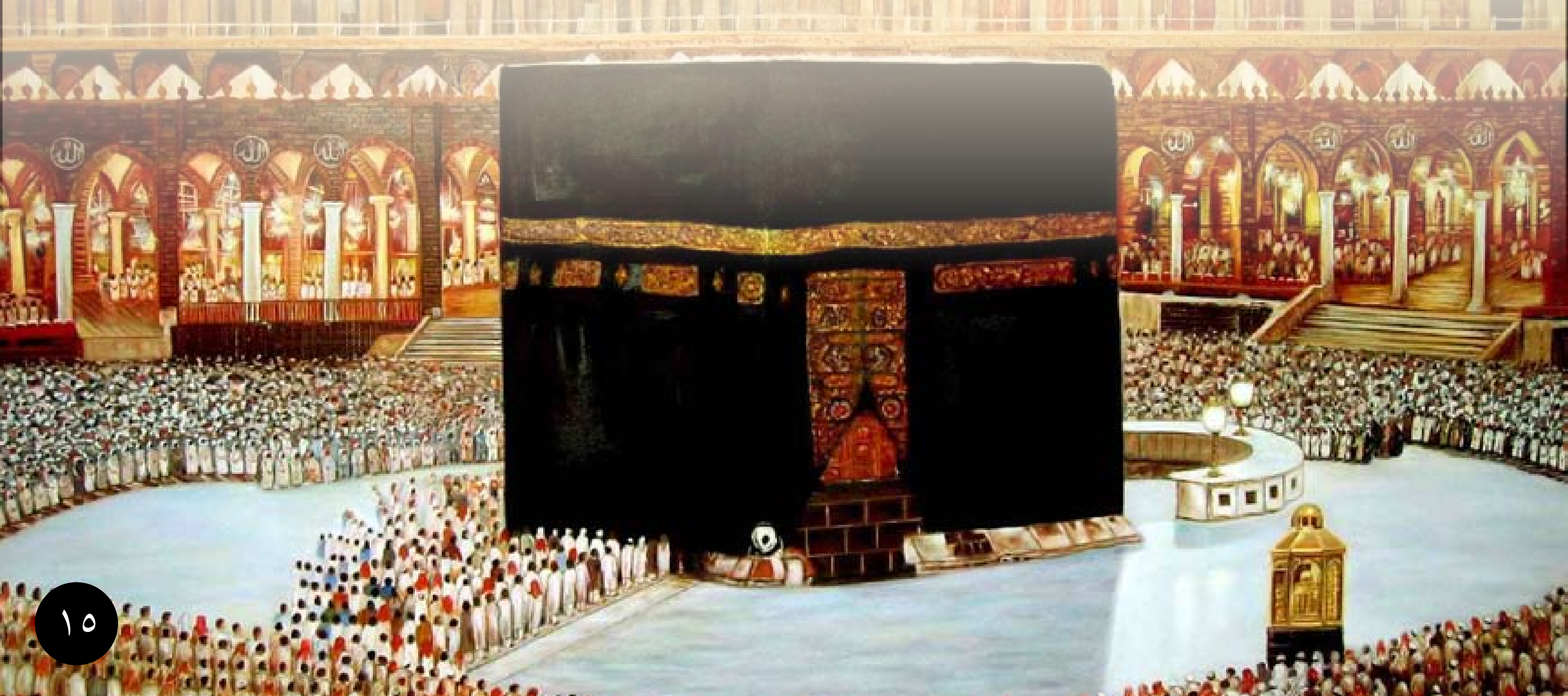
يقول الإمام ابن القيم رحمه الله موضحًا المراتب الخمس التي بدأ بها النبي ﷺ دعوته: (المرتبة الأولى: النبوة، والثانية: إنذار عشيرته الأقربين، والثالثة: إنذار قومه، والرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة، والخامسة: إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر)[١].

وقد آمن بالرسول ﷺ قلة من الأغنياء والأشراف والضعفاء والفقراء والعبيد رجالًا ونساءً، وأوذي الجميع في دينهم؛ فعُذِّبَ بعضهم وقتل بعضهم، وهاجر بعضهم إلى الحبشة فرارًا من أذى قريش، وأوذي معهم الرسول ﷺ فصبر حتى أظهر الله دينه.

ولما بلغ الرسول ﷺ خمسين سنة ومضت عشر سنوات من بعثته، مات عمه أبو طالب الذي كان يحميه من أذى قريش، ثم ماتت من بعده زوجه خديجة التي كانت تؤنسه، فاشتد عليه البلاء من قومه وتجرءوا عليه، وآذوه بصنوف الأذى، وهو صابر محتسب، صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم، (١/ ٨٦).



محمد ﷺ في المدينة

(الهجرة ودخول المدينة)

لما اشتد الأذى من أهل مكة على المسلمين أمرهم الله تعالى أن يهاجروا ليقيموا دين الله تعالى في الأرض التي يقدرون على عبادته فيها، فاختار الله تعالى المدينة النبويَّة دارًا للهجرة، وكان الرسول ﷺ قد رأى في المنام أنه يهاجر إليها.

فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي [أي ظني] إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ ...)(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ(٢).



صورة بالأقمار الصناعية توضح المدينة المنورة وسط الحرات والجبال

(ذات نخل بين لابتين)

(١) رواه البخاري، (٣٣٥٢)، ومسلم، (٤٢١٧).

(٢) رواه البخاري، (٣٩٠٦).

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله تعالى سمى المدينة طابة)(٣).

ولما عزم رسول الله ﷺ على الهجرة إلى المدينة، خرج هو وأبو بكر إلى غار ثور، ومكثا فيه ثلاث ليال، واستأجرا عبد الله بن أبي أريقط وكان مشركًا ليدلهما على الطريق، وسلماه راحلتيهما.

فذعرت قريش لما جرى وطلبتهما في كل مكان، ولكن الله حفظ رسوله فلما سكن الطلب عنهما، ارتحلا إلى المدينة فلما أيست منهما قريش بذلوا لمن يأتي بهما أو بأحدهما مائتين من الإبل؛ فجد الناس في الطلب والبحث عنهم في الطريق إلى المدينة.

(٣) رواه مسلم (١٣٨٥).



قال ابن شهاب: (فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركبٍ من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسولَ الله ﷺ وأبا بكر ثيابَ بياض، وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداةٍ إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة.

فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجلٌ من يهود على أطم [أي حصن] من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب! هذا جَدُّكُمْ الذي تنتظرون. (جدكم: عظيمكم).

فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناسً وجلس رسول الله ﷺ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكرٍ حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ.

فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عنَد ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلةً، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ)[1].

فلما وصل الرسول ﷺ إلى المدينة كبر المسلمون فرحًا بقدومه، واستقبله الرجال والنساء والأطفال فرحين مستبشرين، فنزل بقباء وبنى هو والمسلمون مسجد قباء، وأقام بها بضع عشرة ليلة، ثم ركب يوم الجمعة فصلاها في بني سالم بن عوف، ثم ركب ناقته ودخل المدينة.



صورة بالأقمار الصناعية تبين مسجد قباء

وما أن دخلِ رسول الله ﷺ إلى المدينة حتى جعل أهل المدينة يرغبونه في النزول عليهم في دورهم،

(١) رواه البخاري (٣٦٩٤).

ويأخذون بخطام ناقته، فقال لهم ﷺ: (دعوها فإنها مأمورة)[1].



صورة تخيلية توضح أرض المسجد وهي فضاء فارغة

فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم، فبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلًا، ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها، وذلك في بني النجار أخواله ﷺ وكان هذا من توفيق الله لها؛ فإنه ﷺ أحب أن ينزل على أخواله؛ يكرمهم بذلك، وكان ذلك في أرض أمام دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه[2].

وبهذا بدأت المرحلة المدنية من حياته ﷺ، وشرع النبي ﷺ في إقامة دولة الحق التي ما لبثت أن نشرت نسائم رحمتها وعدلها في ربوع العالمين، ومنها انطلق سفراء الإسلام يرسمون دعائم الدين الحق في البلاد ويفتحون به قلوب العباد.



رسم تقريبي لمساكن القبائل بالمدينة المنورة في عهد النبي ﷺ

***

(١) السيرة النبوية، ابن كثير، (٢/ ٢٧٣).
(٢) انظر: الرحيق المختوم، ص(١٣٤)، بتصرف.

المسجد النبوي ... البناء الأول

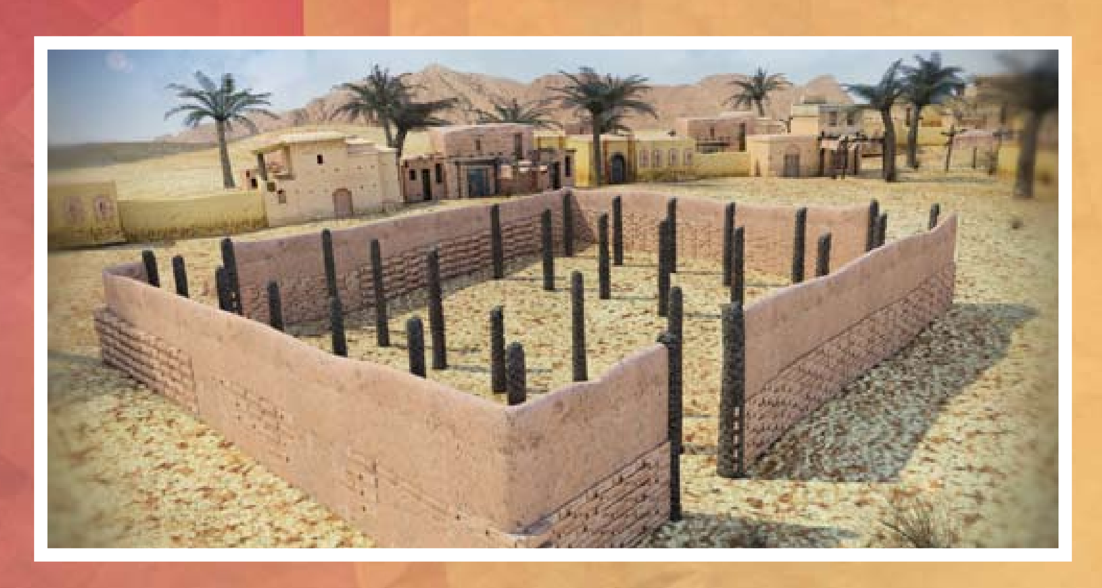
عدة صور تبين البداية الزمانية للبناء الأول:



(١) صورة تخيلية لأرض المسجد قبل البناء



(٢) جدران المسجد



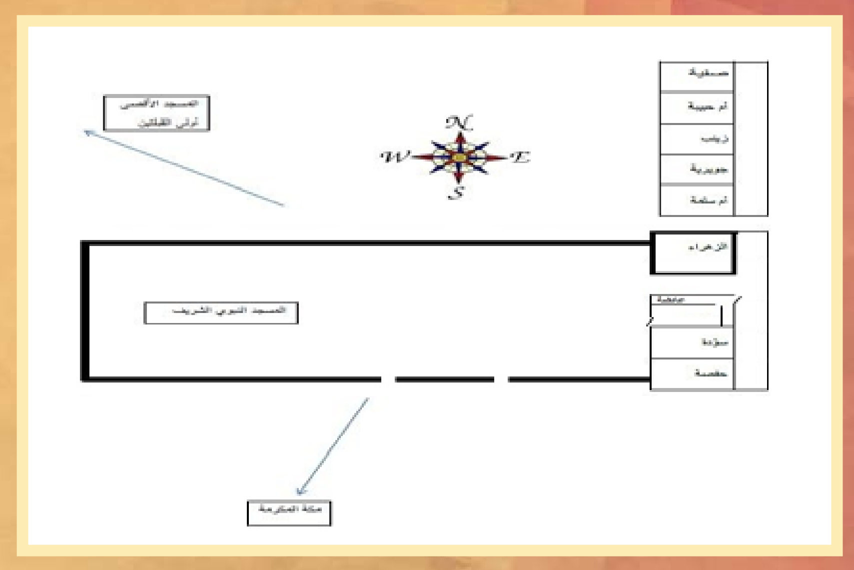
(3) المسجد بعد البناء الأول



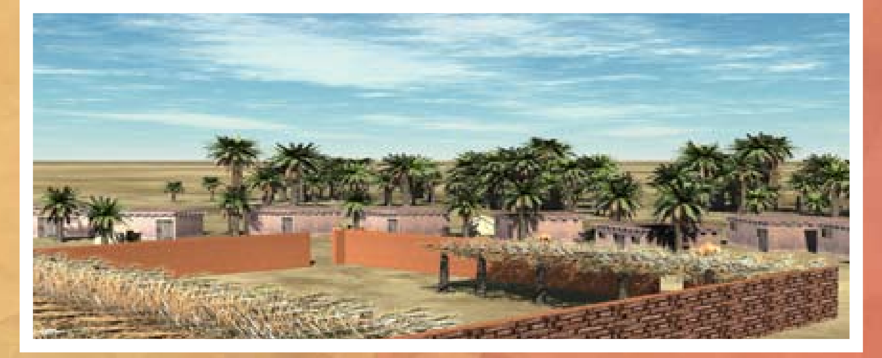
(4) سقف المسجد

ثم شرع النبي ﷺ وأصحابه في بناء مسجده في المكان الذي بركت فيه الناقة، وجعل قبلته إلى بيت المقدس، ثم حولت القبلة إلى الكعبة بعد بضعة عشر شهرًا من مقدمه المدينة.

المسجد واتجاه القبلتين



عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (لمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر ببناء المسجد، وقال: يا بني النجار! ثامنوني بحائطكم هذا، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله)[1].



(١) رواه البخاري برقم (٢٦٢٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٢٤).

وقد أقام جدرانه من اللبن، وأعمدته من جذوع النخل، وسقفه من الجريد، ووجه قبلته ناحية بيت المقدس، وكان له ثلاثة أبواب، وتتوسط المسجد رحبة.



وقد ظلل المسجد، فعملت له أعمدة (سواري) من جذوع النخيل، ثم وضعت عليها الجسور الخشبية (العوارض) وغطي بالجريد والخصف، وكان للمسجد جهة القبلة (بيت المقدس، الحائط الشمالي) ثلاثة أروقة، بكل رواق ستة أعمدة (أسطوانات) - وذلك قبل أن ينزل الأمر بتحويل القبلة إلى الكعبة - وكان بمؤخرة المسجد (الجهة الجنوبية) صفة (ظلة) يأوي إليها المهاجرون الذين لا دار لهم ولا مأوى، وكان ارتفاع سقف المسجد بارتفاع قامة الإنسان، أي حوالي ٣,٥ ذراعًا (حوالي ١,٧٥ م).

وشرع النبي ﷺ في بناء بيوت أزواجه حول مسجده ومنها بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والتي اصطلح على تسميتها بالحجرة النبوية ؛ لأنها المكان الذي دُفن فيه النبي ﷺ وسنطوي في رحلتنا هذه بقية الأحداث لنلتقط صورة واحدة من حياة نبينا ﷺ وهو في حجرته .

النبي ﷺ في حجراته[1]

أسكن النبيُّ ﷺ أزواجه في (الحُجُرات)، وجعل لكل واحدة منهن (حُجرة) خاصةً بها. وهي التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: ٤].

وحُجُرات جمع (حُجَر)، و(حُجَر) جمع (حُجْرة)، فهي جمع الجمع، و(حُجرات) تُضبط بضمتين: (حُجُرات)، وبفتح الجيم: (حُجَرات)، وبتسكينها: (حُجْرات).

مأخوذة من الحجر، وهو: المنع، وسميت بذلك لمنعها الداخل من الوصول إليها، وتجمع على حجر وحجرات، فكل ما كان محاطا بحائط يسمى حجرة، ومن ذلك تسمية البيت، والغرفة، والكعبة، والحظيرة حجرة[2].



(١) انظر للتوسع المباحث العقدية المتعلقة بقبر النبي ﷺ - بدر مقبل الظفيري فهو مفيد في بابه وقد أفدت منه هنا .

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٣/ ٧٥) والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ص/ ٣٧٢) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٣١٠).

و(الحُجرات) في الآية الكريمة «هي بُيُوتُ نِسَائِهِ»[3].

وورد ذكر الحجرات أيضًا في السُّنة المطهرة؛ فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَرضي الله عنها زوج النبي ﷺ، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ رَسُولُ الله ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا، يَقُولُ: (سُبْحَانَ الله، مَاذَا أَنْزَلَ الله مِنَ الخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّينَ - رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ)[4].

قال ابنُ بطال: (يعنى من يوقظهن للصلاة بالليل، وهذا يدل أن الصلاة تنجي من شر الفتن، ويُعتصم بها من المحن)[5].

وقال أيضًا: "قَرَنَ النَّبِيُّ ﷺ نُزُولَ الْخَزَائِن بِالْفِتْنَة إِشَارَةً إِلَى أَنَّهَا تَسَبَّبُ عَنْهَا وَإِلَى أَنَّ الْقَصْدَ فِي الأَمْرِ خَيْرٌ مِنَ الْإِكْثَارِ وَأَسْلَمُ مِنَ الْفِتْنَةِ"[6].

وحجرات أزواج النبي ﷺ تطلق على شيئين ينطبق عليهما التعريف اللغوي للحجرات :

الأول: البيت المتخذ للسكنى بجميع منافعه يسمى حجرة، وهي على هذا المعنى ترادف كلمة البيت في عرفنا، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: ٤].

يقول ابن كثير رحمه الله مفسرًا الآية: (ثم إنه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات: وهي بيوت نسائه)[7].

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٨)، دار طيبة بتحقيق سامي بن محمد سلامة.

(٤) صحيح البخاري (٧٠٦٩).

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ١١٦)، ط مكتبة الرشد- الرياض.

(٦) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٣٠٣)، دار المعرفة-بيروت.

(٧) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٠٩).

ويقول ابن حجر رحمه الله: (والحجرات: بضمتين جمع حجرة بسكون الجيم، والمراد بيوت أزواج النبي ﷺ)[1].

وقال: (لأن الحجر بيوت أزواج النبي ﷺ وكانت لاصقة بالمسجد)[2].

فبيوت أزواج النبي ﷺ بمنافعها، وأقسامها تسمى حجر، وهذا على المعنى العام لكلمة الحجرة السابق ذكره، وذلك لأن البيت محاط، وما كان كذلك يسمى حجرة.

وقد ورد إطلاق الحجرة على البيت المتخذ للسكنى بجميع منافعه في وصف ابن عباس رضي الله عنه لصلاة رسول الله ﷺ في بيت ميمونة رضي الله عنها حيث قال: (فلما صلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة العشاء الآخرة دخل إلى منزله ـ بيت ميمونة رضي الله عنها – .. فآوى رسول الله ﷺ إلى فراشه، ولما كان في جوف الليل خرج إلى الحجرة فقلب في أفق السماء)[3].

فمعنى قوله: خرج إلى الحجرة، أي: خرج إلى فناء البيت كما هو ظاهر في الدلالة؛ لأن نومه ﷺ كان في الحجرة ـ الغرفة ـ، وعند استيقاظه عليه الصلاة والسلام خرج منها إلى فناء البيت الذي سمي حجرة، ونظر إلى أفق السماء، فهذا يدل على أن الحجرة تطلق على البيت أيضًا، إذ يمنع حمل الوصف على الغرفة، مما يدل على أن هذا الإطلاق ليس مقتصرًا على الحجرة التي بمعنى الغرفة.

(١) فتح الباري (٨/ ٥٨٩).
(٢) فتح الباري (٢/ ٥٤٤).
(٣) أخرجه بهذا اللفظ تمام الرازي في فوائده (٣/ ١٢٢) وأصل الحديث في البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرها من الخلائق (ص/ ١٢٨٤ ح/ ٧٤٥٢)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل (ص/ ٣١٠ ح/ ١٧٨٩).

ومن إطلاق الحجرة على البيت قول أبي هريرة رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها: (يا ربة الحجرة)[4] أراد يا صاحبة البيت؛ لأنها تملك البيت كله بجميع منافعه.

وكذا قول الإمام مالك رحمه الله: (كان الناس يدخلون حجرات النبي ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ .. وحجر أزواج النبي ﷺ شارعة أبوابها إلى المسجد)[5] أراد البيوت، وبهذا يعلم صحة تسمية البيوت النبوية بالحجر لدلالة اللغة على هذه التسمية خلافًا لبعض من أنكر هذه التسمية[6].

الأمر الثاني: ما يتخذ غرفة للبيت يسمى حجرة مثل الحريم[7] ـ مكان النساء ـ في البيت[8].

فالجزء الذي يخصص مثلًا للنوم، أو لمجلس، أو لأمر آخر، يسمى حجرة، ونحو هذا المعنى إطلاق الحجرة اليوم على الغرفة، بل إن الناس اليوم لا يطلقون في الغالب لفظ الحجرة إلا على هذا المعنى، ففي عرفهم اليوم تسمية الغرفة ـ الجزء المخصص لغرض من الأغراض بالحجرة ـ وهو إطلاق صحيح، يدل عليه المعنى العام للفظ الحجرة، وهو: الرقعة المحجوزة بحائط ونحوه[9]، والغرفة مما يشملها هذا التعريف، وهذا من إطلاق العام على الخاص.

(٤) أخرجه مسلم كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم (٤/ ٢٢٩٨) حديث رقم (٢٤٩٣).
(٥) انظر: شرف المصطفى (٢/ ٤٤٣).
(٦) انظر: ملاحظات واستدراكات على كتاب بيوت الصحابة رضي الله عنهم (ص/ ١٦٥ مع مجلة المشكاة).
(٧) قال ابن منظور: (حريم الدار ما دخل فيها مما يغلق عليه بابها وما خرج منها فهو الفناء... وحريم الدار ما أضيف إليها وكان من حقوقها ومرافقها) لسان العرب (١٢/ ١٢٥).
(٨) انظر الإخنائية (ص/ ٣٢٣).
(٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣١٠).

لكن لا يفهم من ذلك أن لفظ الحجرة لا يطلق إلا على هذا المعنى كما يفهمه البعض، فالإطلاق الأول وهو إطلاق الحجرة على البيت صحيح، والثاني كذلك، لكن إطلاق الحجرة على هذا المعنى إطلاق خاص جعل له البعض الصدارة في الإطلاق، وذلك لغلبة هذا الإطلاق، لاسيما في زماننا، وهذا يشبه الغلبة في إطلاق المدينة على المدينة النبوية، مع أن المدينة تطلق على كل مدينة لكن عند الإطلاق تتصدر المدينة النبوية بالمراد، وإن كان لفظ المدينة يطلق على غيرها[١].

وقد جاءت أدلة كثيرة توضح وتبين أن الحجرة تطلق على الجزء المخصص من البيت الذي يعتبر الحجرة الواسعة ذات المنافع الكبيرة من حجرة وفناء وكنيف ومغتسل، ونحو ذلك .

فمن ذلك قوله ﷺ: (صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها)[٢].

والحديث نص ظاهر في التفريق بين مدلولات ثلاث التي هي: البيت، والحجرة، والمخدع، فالبيت وهو أوسعها؛ يشمل الحجرة، والمخدع، والمخدع هو مكان في أقصى الحجرة، وقد فسر بأنه البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير، يحفظ فيه الأمتعة النفيسة، فالصلاة فيه أفضل من الصلاة في الحجرة؛ لأنه أستر، وأبعد من الباب من الحجرة ذاتها[٣].

والحجرة: هي في الحديث جزء من البيت، وهي أدنى حالًا منه، لكنها أقرب إلى الباب من غيرها لذا كانت الصلاة في بقية البيت أفضل من الصلاة فيها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله موضحًا الاستدلال بالحديث على هذا المعنى: (ومما يوضح مسمى الحجرة التي قدام البيت ما في سنن أبي داود وغيره عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها) فبين أنه كلما كان المكان أستر لها فصلاتها فيه أفضل، فالمخدع أستر من البيت الذي يقعد فيه، والبيت أستر من الحجرة التي هي أقرب إلى الباب والطريق)[٤].

كما يدل على إطلاق الحجرة على الجزء المخصص من البيت؛ قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله يصلي في الحجرة يفصل بين الشفع، والوتر، أسمع تسليمه، وأنا في البيت)[٥].

---

(١) وفي هذا المعنى يقول ابن مالك رحمه الله في ألفيته: وقد يصير علماً بالغلبة ..... مضاف أو مصحوب أل كالغلبة. انظر: شرح ابن عقيل للألفية (١/ ١٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود، باب ما جاء في خروج النساء من المسجد (١/ ١٥٦) وابن خزيمة في صحيحه، باب اختيار صلاة المرأة في مخدعها على صلاة في بيتها (٣/ ٩٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٩٠)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٣٢)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٣٤).

(٣) انظر: عون المعبود (٢/ ١٩٤، ١٩٥).

(٤) الإخنائية (ص/ ٣٢٤).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٨٣)، وذكره المقريزي في مختصر قيام الليل (ص/ ٢٨٢)، وانظر الحديث الذي بعده.

وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (كانت قراءة النبي ﷺ ربما يسمعها من في الحجرة، وهو في البيت)[١].



فهذان الحديثان صريحان في الفرق بين البيت والحجرة، وأن الحجرة جزء من البيت لا البيت كله، فسماع قراءة النبي ﷺ، وتسليمه دون رؤيته، مما يدل على وجود الحاجز بين السامع والمسموع، وكل من السامع والمسموع في البيت كما أفاده الحديثان، لكن السامع في البيت خارج الحجرة، والمسموع داخل الحجرة .

قال العلامة علي القاري[٢] رحمه الله في أثر ابن عباس السابق



ذكره: (قيل المراد بالحجرة أخص من البيت)[٣].

كما وصف بعض السلف الذين أدركوا الحجرة بيوت زوجات النبي ﷺ مما يدل على هذا المعنى من الفرق بين الحجرة والبيت[٤]؛ فمن تلك الأوصاف ما جاء عن داود بن قيس[٥] رحمه الله واصفًا الحجر النبوية قال: (وأظن عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحوًا من ستة، أو سبعة أذرع، وأحزر البيت الداخل عشرة أذرع، وأظن سمكه بين الثمان، والسبع)[٦].



(١) أخرجه أبو داود في السنن باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل (٢/ ٨١ ح/ ١٣٧٢) والترمذي في الشمائل المحمدية، باب ما جاء في قراءة رسول الله ﷺ (ص/ ١٢٣ ح/ ٣٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٠) وحسنه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية (ص/ ١٦٩).

(٢) هو: العلامة الحنفي، علي سلطان الهروي القاري، كان رحمه الله من المعتنين في الحديث، وقد وصف نفسه رحمه الله بأنه خادم القرآن والحديث، في مقدمة كتابه: المقدمة السالمة في خوف الخاتمة (ص/ ١١) توفي سنة ١٠١٤هـ انظر ترجمته في: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول لصديق حسن خان (ص/ ٤٠٦).

(٣) انظر: عون المعبود (٤/ ١٤٦).

(٤) انظر بعض الآثار في شرف المصطفى (٢/ ٤٣٩).

(٥) هو: داود بن قيس الفراء القرشي مولاهم المدني، ثقة فاضل، توفي في خلافة أبي جعفر المنصور. انظر ترجمته في تهذيب الكمال للمزي (٨/ ٤٤٠)، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص/ ١٣٩).

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب التطاول في البنيان، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد. انظر: صحيح الأدب (ص١٣٧).

وقال الحسن البصري[١]: (كنت أدخل بيوت رسول الله ﷺ وأنا غلام مراهق، وأنال السقف بيدي، وكان لكل بيت حجرة، وكانت حجره من أكسية من خشب عرعر[٢])[٣].











(١) هو: الحسن بن أبي الحسن البصري، من مشاهير التابعين، وأئمتهم، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه، قال فيه يونس: أنه كان من رؤوس العلماء في الفتن والدماء والفروج، توفي سنة ١١٠ انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٥٦٣-٥٨٨).

(٢) عرعر بالتكرير: شجر يقال له الساسم، ويقال الشيزى، يقال هو شجر يعمل منه القطران، ويقال هو شجر عظيم جبلي لا يزال أخضر تسميه الفرس السرو. انظر: لسان العرب (٤/ ٥٦١)، والقاموس المحيط (ص/ ٤٣٨).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب، باب التطاول في البنيان، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص/ ١٣٧).



قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولفظ الحجرة في هذه الآثار لا يراد به جملة البيت كما في قول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: ٤]، بل يراد ما يتخذ حجرة للبيت عند بابه مثل الحريم للبيت، وكانت هذه من جريد النخل، بخلاف الحجر التي هي المساكن فإنها كانت من اللبن...)[١].

وبعد موت عائشة رضي الله عنها قد يطلق على الحجرة كلها قبر النبي ﷺ، وذلك إن البيت يسمى بيتًا حال كونه مسكونًا للأحياء، أو يصلح لسكناهم وإذا صار مدفنًا عاد يسمى قبرًا[٢].

وعلى هذا التحقيق يظهر لنا أن المفهوم السائد أن حجرة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – إنما هي حجرة مفردة مفهوم قاصر بل هي حجرة واسعة مقسومة إلى قسمين: قسم تسكنه عائشة رضي الله عنها، وهو في مؤخرة الحجرة، وقسم فيه القبور: وهو في مقدمة الحجرة، وهي أي: القبور ليست ظاهرة في الحجرة، بل محجوبة عن النظر في مكان مستقل.

(١) الإخنائية (ص/ ٣٢٣).

(٢) انظر الحجج الباهرة للصديقي (ص/ ٣٧٩)، ومنه: تسمية الوقوف عند الحجرة زيارة قبره ﷺ.

قال شيخ الإسلام: (وكانت عائشة فيه لأنه بيتها، وكانت ناحية عن القبور؛ لأن القبور في مقدم الحجرة، وكانت هي في مؤخرة الحجرة)[٣] وقال رحمه الله: (وربما طلب منها أحيانًا بعض التابعين أن تريه القبر، فتريه إياه ليعرف السنة في القبور)[٤].

ويدل على هذا ما جاء عنها – رضي الله عنها – بعد أن دفن عمر بن الخطاب في بيتها من قولها: (كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ، وأني واضعة ثوبي، وأقول إنما زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهما، فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر).

وقالت عمرة[٥]: قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: (ما زلت أضع خماري، وأتفضل من ثيابي في بيتي حتى دفن عمر فلم أزل متحفظة في ثيابي حتى بنيت بيني وبين القبور جدارا فاتفضلت بعد)[٦].

وهذا يدل على أن في بيتها مكاناً آخر؛ إن دخلته؛ دخلته وهي مشدود عليها ثيابها رضي الله عنها.

قال مالك بن أنس يحكي ما دلت عليه الروايتين: (قسم بيت عائشة باثنين: قسم كان فيه القبر، وقسم كانت تكون فيه عائشة،

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٩٩)، وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص/ ٢٦٠).

(٤) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص/ ٨٤).

(٥) هي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية، ثقة أكثرت عن عائشة – رضي الله عنها ـ في الرواية ماتت قبل المائة، انظر تقريب التهذيب (ص/ ٦٦٧).

(٦) سبق تخريجه ص ٣٩.

وبينهما حائط، فكانت عائشة رضي الله عنها، ربما دخلت حيث القبر فضلًا، فلما دفن عمر ﷺ لم تدخله إلا وهي جامعة عليها ثيابها)[1].

ويدل عليه قول القاسم بن محمد بن أبي بكر - رحمه الله - لعائشة رضي الله عنها: (اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ، فكشفت ...).

فهذا يدل على أن القبور غير ظاهرة لا ترى، لأنها لو كانت كذلك في الحجرة لم يسأل القاسم أمه عائشة رضي الله عنها أن تكشف له عن القبور، وكان بإمكانه أن ينظر في الحجرة من غير هذا السؤال.

قال في عون المعبود في قوله: (اكشفي لي) أي أظهري، وارفعي الستارة ... فكشفت لي أي: لأجلي، أو لرؤيتي[2].

وأما وجود منافع في البيت النبوي، فيدل عليه ما وجد في بعض بيوت النبي ﷺ من مشربة وهي الغرفة العلية، وهي التي صلى رسول الله ﷺ فيها بأصحابه في أحد أوقاته التي مرض فيها.

فعن جابر ﷺ قال: (ثم ركب رسول الله ﷺ فرسا بالمدينة فصرعه على جذم[3] نخلة، فانفكت قدمه فأتيناه نعوده، فوجدناه في مشربة لعائشة يُسبِّح جالسًا، فقمنا خلفه وأشار إلينا فقعدنا، فلما قضى الصلاة قال: **إذا صلى الإمام جالسًا فصلوا جلوسًا، وإذا صلى الإمام قائماً فصلوا قيامًا، ولا تفعلوا كما تفعل أهل فارس بعظمائها)**[4].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٣٠٧) بإسناد صحيح عال إلى مالك.
(٢) عون المعبود (٩/ ٢٨).
(٣) الجذمة: القطعة، انظر: لسان العرب (١٢/ ٨٦).
(٤) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الصلاة، باب الإمام يصلي من قعود (١/ ١٦٤ ح ٦٠٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٥٣)، وأبو يعلى في

قال الحافظ ابن عبد البر في تعريف المشربة: (فقال صاحب العين[5]: هي الغرفة، ودليل هذا الحديث يقضي بأن كل ما يختزن فيه الطعام فهي مشربة، والله أعلم والخزانة معروفة، وأصل الخزن الحفظ، والستر، والملك)[6].

وقال الحافظ ابن حجر: (مشربة بفتح أوله، وسكون المعجمه، وبضم الراء، ويجوز فتحها: هي الغرفة المرتفعة)[7].

وقد كان يرقى عليها رسول الله ﷺ بعجلة، ففي صحيح البخاري في حديث اعتزال رسول الله نسائه: (فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له يرقى عليها بعجلة، وغلام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرجة)[8].

والمشربة: هي التي اعتزل رسول الله ﷺ فيها جميع نسائه، ففي نفس الحديث الوارد في اعتزال رسول الله نسائه: (فدخل النبي ﷺ مشربة له فاعتزل فيها)[9].

كما أن وجود الكنيف[10] في بعض بيوت نسائه، مما يدل على وجود منافع أخرى في بيوت النبي ﷺ وإن البيت ليس مقتصر

مسنده (٣/ ٤١١)، وقال محققه رجاله رجال الصحيح.
(٥) هو الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي، أبو عبد الرحمن البصري، اللغوي، صاحب العروض والنحو، صدوق عالم عابد، مات بعد المئة والستين، وقيل غير ذلك، انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٩)، وتقريب التهذيب (ص/ ١٣٥).
(٦) التمهيد (١٤/ ١٠٧).
(٧) فتح الباري (١/ ٤٨٨).
(٨) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها (ص/ ٣٩٨ ح ٢٤٦٧).
(٩) المصدر السابق.
(١٠) هو: السترة، والساتر، والمرحاض، وهو مكان للتخلي انظر: القاموس المحيط (ص/ ٨٥٠).

على الغرفة فقط. قال ابن عمر: دخلت بيت حفصة فحانت مني التفاتة، فرأيت كنيف رسول الله ﷺ مستقبل القبلة)[1].

كما أن من المعلوم أن للنساء مكاناً غير مكان للرجال، وقد كان النبي ﷺ يستقبل الضيوف في بعض الأحيان في بيته، ومن طبيعة الحال تنحي النساء عن مكان الرجال.

وإنما أطلتُ في تقرير ذلك لتبيان صفة البيت النبوي ومحل أم المؤمنين عائشة في حجرتها والقبور الثلاثة .

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٩٣).

النبي ﷺ الزوج المربي المحب

شهدتْ حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها العديد من مواقف الحبيب محمد ﷺ زوجا وأبا ومربيا ومعلما وهاديا...

زوجًا كخير ما يكون الزوجُ لأهله..

وأبًا على خير ما يرجو الأبناء في آبائهم..

ومُربيًا حانيًا على خادم، رفيقًا على صاحب، باذلًا نصحه لكل طالب..

ومّعلمًا رفع الجهلَ وأنقذ من الضلالة وعلَّم الدنيا مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب..

وهاديًا إلى كل خيرٍ وحقٍّ، حاجزًا عن كل شرٍّ وباطلٍ..

إنه شوق يستفز المرء ليدلف لتلك الحجرات ليستعيد عبق التاريخ وحكايات الإيمان؛ ليقتدي بالنبي ﷺ زوجًا .. ومحبًّا .. ومؤنسًا .

نقتطف صورا عابرة من حياته في حجرته ﷺ

يبدأ بحجرة عائشة:

أخرج الإمام البخاريُّ[١] عَنْ أَنَس ﷺ، قَالَ: بُنِيَ[٢] على النبيِّ ﷺ بزينبَ بنت جَحْش بخبْز ولَحم، فَأُرْسِلْتُ على الطعام داعيًا، فيجيءُ قومٌ فيأكلونَ ويخرجونَ، ثمَّ يجيءُ قومٌ فيأكلونَ ويخرجونَ، فدَعوْتُ حتى ما أجدُ أحدًا أدعُو، فقلتُ: يا نبيَّ الله ما أجدُ أحدًا أدعُوهُ، قال: **(ارْفَعُوا طعامَكم)**، فخرج النبيُّ ﷺ فانْطَلَقَ إلى حُجْرَة عائشةَ، فقالَ: **(السلامُ عليكمْ أهلَ البيت ورحمةُ الله)**. فقالتْ: وعليكَ السلامُ ورحمةُ الله، كيفَ وجدْتَ أهلَكَ، باَرَكَ اللهُ لَكَ. فَتَقَرَّى[٣] حُجَرَ نسائه كلِّهنَّ، يقولُ لهنَّ كما يقولُ لعائشَةَ، ويقلنَ لهُ كما قالتْ عائشةُ، ثم رَجَعَ النبيُّ ﷺ.

وفي الحجرة يقومُ الليل:

كان ﷺ إذا انتصف الليل أو قبله بقليل استيقظ في حُجرته، ثم جلس يمسح النوم عن وجهه بيده وتناول سواكه فدلك به فمه الطيب المبارك، ثم رفع نظره إلى السماء، ينظر بتفكر في هدوء الليل وسكونه إلى عظمة الله في خلقه وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١]، ثم يقوم إلى قِربة معلقة فيُطلق رباطها، ويسكب منها الماء في قدح عنده ثم يتوضأ ويصلي[٤].

---

(١) في صحيحه (٤٧٩٣)، وكذا أخرجه مسلم في صحيحه: (١٤٢٨).

(٢) (بُني) من البناء وهو الدخول بالزوجة.

(٣) قَوْلُهُ (فَتَقَرَّى) بِفَتْحِ الْقَاف وَتَشْدِيد الرَّاء بصيغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضي أَيْ: تَتَبَّعَ الْحُجُرَات وَاحِدَةً وَاحِدَةً (فتح الباري: ٨/ ٥٣٠).

(٤) أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ في البخاري: (٤٥٧١)، ومسلم: (٧٦٣).

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: «كُنْتُ أَمُدُّ رِجْلِي فِي قِبْلَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي فَرَفَعْتُهَا فَإِذَا قَامَ مَدَدْتُهَا»[(١)].

وفي هذا الحديث إشارةٌ إلى ما كانت عليه حجرة نوم النبي ﷺ من ضيق، حتى إنه إذا أراد أن يسجد لم يجد متسعًا إلا أن يغمز عائشة رضي الله عنها فتكفَّ رجليها ليسجد.

ويصبح النبي ﷺ في حُجرة إحدى نسائه على أذان بلال ﵁ مردِّدًا: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[(٢)]، ثم يجيب المؤذِّنَ، ثم يصلي راتبة الفجر، وكان يقول: «**لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا**»[(٣)]، وفي رواية: «**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»[(٤)].

وفي الحجرة حديث المحبة والوداد والإسعاد مع عائشة رضي الله عنها :

كان إذا فرغ من صلاته؛ آنسَ زوجه بحديث المودة والإسعاد حتى تحين الإقامة :

عَنْ عَائِشَةَ ﵂: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى، فَإِنْ كُنْتُ مُسْتَيْقِظَةً حَدَّثَنِي، وَإِلَّا اضْطَجَعَ حَتَّى يُؤْذَنَ بِالصَّلَاةِ»[(٥)].

وفي رواية المسند عَنْ عَائِشَةَ ﵂ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ اضْطَجَعَ، فَإِنْ كُنْتُ يَقْظَى، تَحَدَّثَ مَعِي، وَإِنْ كُنْتُ نَائِمَةً نَامَ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ»[(٦)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: (١١٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان ﵁، رقم: (٦٣١٢).

(٣) صحيح مسلم من رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، رقم: (٧٢٥).

(٤) السابق نفسه.

(٥) صحيح البخاري: (١١٦٧).

(٦) مسند الإمام أحمد: (٢٤٠٧٢)، ط الرسالة.

وبعد الصلاة يعود لحُجرته ويأتي خدمُ المدينة، بأيديهم الأقداح فيها الماء، يتبركون بوضع رسول الله ﷺ يده المباركة في آنيتهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ، فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا، فَرُبَّمَا جَاءُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ، فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا»[(٧)].

دخوله ﷺ على أزواجه ومؤانستُه لهن :

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ وَجَلَسَ النَّاسُ حَوْلَهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَى نِسَائِهِ امْرَأَةً امْرَأَةً يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ وَيَدْعُو لَهُنَّ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ إِحْدَاهُنَّ كَانَ عِنْدَهَا[(٨)].

وكان ﷺ يدخل عليهنَّ مرةً أخرى إذا انصرف من العصر، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الْعَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ، فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ، فَاحْتَبَسَ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ»[(٩)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الَّذِي كَانَ يَقَعُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ سَلَامًا وَدُعَاءً مَحْضًا وَالَّذِي فِي آخِرِهِ مَعَهُ جُلُوسٌ وَاسْتِئْنَاسٌ وَمُحَادَثَةٌ»[(١٠)].

وكان نِسَاؤُهُ يَجْتَمِعنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَبِيتُ عِنْدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَأْكُلُ مَعَهُنَّ الْعَشَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، ثُمَّ تَنْصَرِفُ كُلُّ وَاحِدَةٍ إِلَى مَنْزِلِهَا[(١١)].

---

(٧) صحيح مسلم: (٢٣٢٤).

(٨) فتح الباري (٩/ ٣٧٩) وعزاه إلى ابن مَرْدَوَيْه.

(٩) صحيح البخاري: (٥٢١٦). وقولها: (فيدنو) أي فيقترب، ومعنى (فاحتبس) أي تأخر.

(١٠) فتح الباري (٩/ ٣٧٩).

(١١) تفسير ابن كثير، ط دار طيبة: (٢/ ٢٤٢).

عَنْ أَنَس، قَالَ: «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ تِسْعُ نِسْوَةٍ[١]، فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ، لَا يَنْتَهِي إِلَى الْمَرْأَةِ الْأُولَى إِلَّا فِي تِسْعٍ، فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَا...»[٢].

وَكَانَ ﷺ إِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ يَسْمُر مَعَ أَهْلِهِ قَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَنَامَ، يُؤانسهم بِذَلِكَ ﷺ[٣].

وجلس ﷺ يستمع إلى عائشة رضي الله عنها في السمر وهي تقص عليه ما كان من أمر إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً جلسْنَ فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا... فسردت عليه "حديث أم زرع" الطويل دون أن يقاطعها، بل ولاطفها في ختامه قائلًا: «**كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ**»[٤].

دعوةٌ إلى الطعام ...وإظهارٌ حبه لعائشة رضي الله عنها :

وكان ﷺ إذا دُعي إلى طعام يرغِّب في دعوة زوجه معه تحبُّبًا وأُنسًا:

عَنْ أَنَس، أَنَّ جَارًا لِرَسُولِ الله ﷺ فَارِسِيًّا كَانَ طَيِّبَ الْمَرَقِ، فَصَنَعَ لِرَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ جَاءَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ: «**وَهَذِهِ؟**» لِعَائِشَةَ، فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا**»، فَعَادَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَهَذِهِ؟**»، قَالَ: لَا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا**»، ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَهَذِهِ؟**»، قَالَ: نَعَمْ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَامَا يَتَدَافَعَانِ حَتَّى أَتَيَا مَنْزِلَهُ[٥].

(١) قَوْلُهُ: (تِسْعُ نِسْوَةٍ) هُنَّ اللاتِي تُوُفِّيَ عَنْهُنَّ ﷺ وَهُنَّ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَسَوْدَةُ وَزَيْنَبُ وَأُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ وَمَيْمُونَةُ وَجُوَيْرِيَّةُ وَصَفِيَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ.

(٢) صحيح مسلم: (١٤٦٢).

(٣) تفسير ابن كثير، ط دار طيبة: (٢/ ٢٤٢).

(٤) متفق عليه: البخاري: (٥١٨٩)، ومسلم: (٢٤٤٨).

(٥) صحيح مسلم: (٢٠٣٧).

قال النووي رحمة الله عليه: «فَكَرِهَ ﷺ الاخْتِصَاصَ بِالطَّعَامِ دُونَهَا وَهَذَا مِنْ جَمِيلِ الْمُعَاشَرَةِ وَحُقُوقِ الْمُصَاحَبَةِ وَآدَابِ الْمُجَالَسَةِ الْمُؤَكَّدَةِ»[٦].

هَدْيُه ﷺ في الدخول إلى بيته :

وكان ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك:

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، قُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: «بِالسِّوَاكِ»[٧].



ثم يُسلِّم على مَن في البيت:

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «**إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ بِسْمِ اللهِ وَلَجْنَا وَبِسْمِ اللهِ خَرَجْنَا وَعَلَى اللهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ**»[٨].

(٦) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٢٠٩)، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٧) صحيح مسلم: (٢٥٣).

(٨) رواه أبو داود في سننه: (٥٠٩٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٢٢٥).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ**»[1].

غَيْرَةُ أزواجِه ﷺ:

وفي بيوته يقع ما يقع بين الزوجات من غَيْرَةٍ، ومن ذلك:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّ العَسَلَ وَالحَلْوَاءَ[2]، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ العَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ، فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، فَاحْتَبَسَ أَكْثَرَ مَا كَانَ يَحْتَبِسُ، فَغِرْتُ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً[3] مِنْ عَسَلٍ، فَسَقَتِ النَّبِيَّ ﷺ مِنْهُ شَرْبَةً، فَقُلْتُ: أَمَا وَاللهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ: إِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ، فَإِذَا دَنَا مِنْكِ فَقُولِي: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ[4]، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: لاَ، فَقُولِي لَهُ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ، فَقُولِي لَهُ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ[5]، وَسَأَقُولُ ذَلِكِ، وَقُولِي أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ ذَاكِ.

(١) رواه الترمذي: (٢٦٩٨)، وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٠٨): (حسن لغيره).

(٢) المراد بالحلواء هنا كل شيء حلو، وفيه جواز أكل لذيذ الأطعمة والطيبات من الرزق وأن ذلك لا ينافي الزهد والمراقبة لا سيما إذا حصل اتفاقا .فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٠ / ٨٠)

(٣) (عُكَّة) وعاء صغير يوضع فيه السمن أو العسل.

(٤) (مغافير): صمغ حلو كالعسل له رائحة كريهة. قَالَ ابن الْمُنير: «إِنَّمَا سَاغَ لَهُنَّ أَنْ يَقُلْنَ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ لِأَنَّهُنَّ أَوْرَدْنَهُ عَلَى طَرِيق الاسْتِفْهَام بِدَلِيلِ جَوَابه بِقَوْله: (لَا)، وَأَرَدْنَ بِذَلِكَ التَّعْرِيضَ لَا صَرِيحَ الْكَذِبَ فَهَذَا وَجْهُ الاحْتِيَالِ الَّتِي قَالَتْ عَائِشَةَ لنحتالن لَهُ وَلَوْ كَانَ كَذِبًا مَحْضًا لَمْ يُسَمَّ حِيلَةً إِذْ لَا شُبْهَةَ لِصَاحِبِه» (فتح الباري ١٢/ ٣٤٤).

(٥) (جرست نحله العُرفُط) أي رعت نحلُ هذا العسل الذي شربته (العرفط) مفعول جرست، وهو شجر ينضح الصمغ المعروف بالمغافير، أي: لكونها رعته وأخذت منه حصلت هذه الرائحة.

قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَامَ عَلَى البَابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُبَادِيَهُ[6] بِمَا أَمَرْتِنِي بِهِ فَرَقًا مِنْكِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا قَالَتْ لَهُ سَوْدَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ قَالَ: «**لاَ**» قَالَتْ: فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ؟ قَالَ: «**سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ**» فَقَالَتْ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ قُلْتُ لَهُ نَحْوَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى صَفِيَّةَ قَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى حَفْصَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلاَ أَسْقِيكَ مِنْهُ؟ قَالَ: «**لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ**» قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَاللهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ، قُلْتُ لَهَا: اسْكُتِي[7].

ومما دار في بيته ﷺ من الغيرة أيضًا ما يرويه أنس ﷺ، قال: "كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ تِسْعُ نِسْوَةٍ، فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ، لَا يَنْتَهِي إِلَى الْمَرْأَةِ الْأُولَى إِلَّا فِي تِسْعٍ، فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَا، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَجَاءَتْ زَيْنَبُ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: هَذِهِ زَيْنَبُ[8]، فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، فَتَقَاوَلَتَا حَتَّى اسْتَخَبَتَا[9]، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ذَلِكَ، فَسَمِعَ أَصْوَاتَهُمَا، فَقَالَ: اخْرُجْ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَى الصَّلَاةِ، وَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ[10]، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: الْآنَ يَقْضِي النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، فَيَجِيءُ أَبُو بَكْرٍ فَيَفْعَلُ بِي وَيَفْعَلُ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، أَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهَا قَوْلًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَتَصْنَعِينَ هَذَا"[11].

(٦) (أُبَادِيَهُ) أي أبدأه وأناديه وهو لدى الباب.

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤).

(٨) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٠/ ٤٧): (وَأَمَّا مَدُّ يده إِلَى زَيْنَبَ وَقَوْلُ عَائِشَةَ هَذِه زَيْنَبُ فَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَمْدًا بَلْ ظَنَّهَا عَائِشَةَ صَاحِبَةَ النَّوْبَةِ لِأَنَّهُ كَانَ فِي اللَّيْلِ وَلَيْسَ فِي الْبُيُوتِ مَصَابِيحُ وَقِيلَ كَانَ مِثْلُ هَذَا بِرِضَاهُنَّ).

(٩) قوله: (قَوْلُهُ حَتَّى اسْتَخَبَتَا) مِنَ السَّخَبِ وَهُوَ اخْتِلَاطُ الْأَصْوَاتِ وَارْتِفَاعُهَا وَيُقَالُ أَيْضًا صَخَبٌ بِالصَّادِ.

(١٠) قوله: (واحث في أفواههن التراب) مبالغة في زجرهن وقطع خصامهن.

(١١) رواه مسلم في صحيحه (١٤٦٢).

قال النووي: "وَفِي هَذَا الْحَدِيث مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ من حُسْنِ الْخُلق وَمُلاطَفَة الْجَمِيع"[1].

ومن لطيف ما جاء في غَيْرة أزواج الحبيب ﷺ ما يرويه أنسٌ رضي الله عنه أيضا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ – أَظُنُّهَا عَائِشَةَ–، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ[2] فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ[3]، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: «**غَارَتْ أُمُّكُمْ**» ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ[4].

فتأمَّل كيف عالج النبيُّ ﷺ هذا الموقف بجميل حكمته وواسع فطنته. وفي قوله: (**غَارَتْ أُمُّكُمْ**) اعْتِذارٌ مِنْهُ ﷺ لِئَلَّا يُحْمَل صَنِيعُهَا عَلَى مَا يُذَمُّ بَلْ يَجْرِي عَلَى عَادَةِ الضَّرَائِرِ مِنَ الْغَيْرَةِ فَإِنَّهَا مُرَكَّبَةٌ فِي النَّفْسِ بِحَيْثُ لَا يُقْدَرُ عَلَى دَفْعِهَا[5].

ونساءُ النبيِّ ﷺ حزبان:

يدل على ذلك ما جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ، فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ، وَالحِزْبُ الآخَرُ[6] أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ المُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَائِشَةَ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَخَّرَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، بَعَثَ صَاحِبُ الهَدِيَّةِ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ.

فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِي رَسُولَ اللهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ هَدِيَّةً، فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا، فَكَلِّمِيهِ قَالَتْ: فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكِ، فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَ لَهَا: «**لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّ الوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ، إِلَّا عَائِشَةَ**»، قَالَتْ: فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللهَ العَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ: «**يَا بُنَيَّةُ أَلَا تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟**»، قَالَتْ: بَلَى، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ، فَقُلْنَ: ارْجِعِي إِلَيْهِ، فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ، فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، فَأَتَتْهُ، فَأَغْلَظَتْ، وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللهَ العَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ[7]، حَتَّى إِنَّ

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٠/ ٤٨).

(٢) (الصَّحْفة) إناء كالقصعة المبسوطة.

(٣) (فانفلقت) أي تكسرت، و (فِلَق) أي قطع جمع فلقة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه: (٥٢٢٥)، دون التصريح بأن الواقعة حدثت في حجرة عائشة، وفي رواية المسند، قال أنس: (أَظُنُّهَا عَائِشَةَ)، ووقع التصريح بأنها عائشة في رواية الترمذي عن أنس قال: (أَهْدَتْ بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا فِي قَصْعَةٍ فَضَرَبَتْ عَائِشَةُ الْقَصْعَةَ بِيَدِهَا...).

(٥) فتح الباري (٥/ ١٢٦).

(٦) (وَالْحِزْبُ الْآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ) أَيْ بَقِيَّتُهُنَّ وَهِيَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ الأَسَدِيَّةُ وَأُمُّ حَبِيبَةَ الأُمَوِيَّةُ وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ الخُزَاعِيَّةُ وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الحَارِثِ الهِلَالِيَّةُ دُونَ زَيْنَبَ بِنْتِ خُزَيْمَةَ أُمِّ المَسَاكِين (فتح الباري: ٥/ ٢٠٦، ٢٠٧).

(٧) قول زينب رضي الله عنها: (يَنْشُدْنَكَ أو يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ) مَعْنَاهُ: يَسْأَلْنَكَ التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُنَّ فِي مَحَبَّةِ الْقَلْبِ وَكَانَ ﷺ يُسَوِّي بَيْنَهُنَّ فِي الأَفْعَالِ وَالْمَبِيتِ وَنَحْوِهِ وَأَمَّا مَحَبَّةُ الْقَلْبِ فَكَانَ يُحِبُّ عَائِشَة

رَسُولَ الله ﷺ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائشَةَ، هَلْ تَكَلَّمُ، قَالَ: فَتَكَلَّمَتْ عَائشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَتَتْهَا، قَالَتْ: فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ، وَقَالَ: «**إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ**»[١].

وفي حُجرته الأنس وحديث الذكريات :

فعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُد، قَالَ: **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِك مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَة، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالب**[٢] **فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ**[٣]؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[٤].

أَكْثَرَ مِنْهُنَّ وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَحَبَّتَهُنَّ لَا تَكْلِيفَ فِيهَا وَلَا يَلْزَمُهُ التَّسْوِيَةُ فِيهَا لِأَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لِأَحَدٍ عَلَيْهَا إِلَّا الله ا وَإِنَّمَا يُؤْمَرُ بِالْعَدْلِ فِي الْأَفْعَالِ. (قاله النووي في شرحه على مسلم١٥/ ٢٠٥).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٨١)، ومسلم (٢٤٤٢).

(٢) قوله: (فلم أستفق إلا بقرن الثعالب) أي لم أفطن لنفسي وأنتبه لحالي وللموضع الذي أنا ذاهب إليه وفيه إلا وأنا عند قرن الثعالب لكثرة همي الذي كنت فيه. و»قرن الثعالب» هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد، ويسمى الآن «السيل الكبير»، وموقعة شمال مدينة الطائف ويبعد عنها نحو ٥٥ كم ويبعد عن مكة المكرمة نحو ٧٥ كم.

(٣) (الأخشبين) هُمَا جَبَلَا مَكَّةَ أَبُو قُبَيْس وَالْجَبَل الَّذِي يُقَابِلهُ.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم: (١٧٩٥).

وفي بيته توسعةٌ على الأهل وإدخالُ السعادة إلى قلوبهم :

عَنْ عَائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الأَنْصَارِ تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتِ الأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ[٥]، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ الله ﷺ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا**»[٦].

قال الحافظ ابن حجر رحمة الله عليه: «وَفِي هَذَا الْحَدِيث مِنَ الْفَوَائِد: مَشْرُوعِيَّةُ التَّوْسِعَة عَلَى الْعِيَال فِي أَيَّام الأَعْيَاد بِأَنْوَاعِ مَا يَحْصُلُ لَهُمْ بَسْطُ النَّفْسِ وَتَرْوِيحُ الْبَدَنِ مِنْ كُلَفِ الْعِبَادَةِ... وَفِيهِ الرِّفْقُ بِالْمَرْأَةِ وَاسْتِجْلَابُ مَوَدَّتِهَا»[٧].

ومن التوسعة على الأهل إقرارُه ﷺ أهلَه على النظر إلى اللهو المباح يوم العيد:

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: وَكَانَ يَوْمُ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالحِرَابِ[٨]، فَإِمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ، وَإِمَّا قَالَ: «**تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ**»، فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى

---

(٥) (يوم بعاث): يَوْم حَرْب كَانَ بَين الْأَوْس والخزرج بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ كل وَاحِد من الْفَرِيقَيْنِ ينشد الشِّعْر وَيذكر مفاخر نَفسه.

(٦) صحيح البخاري: (٩٥٢). وقولها: (بما تقاولت الأنصار) بما قاله كل فريق من فخر بنفسه أو هجاء لغيره. (وليستا بمغنيتين) ليس الغناء عادة لهما وحرفة ولا هما معروفتان بذلك ولا تغنيان بتمطيط وتكسر وتهييج وحركات مثيرة وبغناء فيه تعريض بالفواحش أو تصريح بها أو ذكر الهوى والمفاتن مما يحرك الساكن ويبعث الكامن في النفس فهذا وأمثاله من الغناء لا يختلف في تحريمه لأنه مطية الزنا وأحبولة الشيطان [من تعليق د.مصطفى البغا على صحيح البخاري].

(٧) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٤٣).

(٨) الدَّرَق: جمع (دَرَقة)، وهي ترس مصنوع من جلد. و الحراب: جمع (حربة) وهي رمح صغير عريض النصل.

خَدِّه، وَيَقُولُ: «دُونَكُمْ[1] بَنِي أَرْفِدَةَ[2]»، حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ: «حَسْبُكِ»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاذْهَبِي»[3].

وفي رواية، قالت: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ»[4]، «حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسْأَمُ»[5].

وفي رواية عند النَّسائي في "سننه الكبرى" عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ الْحَبَشَةُ الْمَسْجِدَ يَلْعَبُونَ فَقَالَ لِي: **يَا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ** فَقُلْتُ: «نَعَمْ، فَقَامَ بِالْبَابِ وَجِئْتُهُ فَوَضَعْتُ ذَقَنِي عَلَى عَاتِقِهِ فَأَسْنَدْتُ وَجْهِي إِلَى خَدِّهِ» قَالَتْ: «وَمِنْ قَوْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ أَبَا الْقَاسِمِ طَيِّبًا» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَسْبُكِ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَعْجَلْ، فَقَامَ لِي ثُمَّ قَالَ: «**حَسْبُكِ**» فَقُلْتُ: «لَا تَعْجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ» قَالَتْ: «وَمَا لِي حُبُّ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَبْلُغَ النِّسَاءَ مَقَامُهُ لِي وَمَكَانِي مِنْهُ»[6].

وفي بيوت النبي ﷺ مزاحٌ وتبسّم:

ومن جميل عِشرته صلى الله عليه وآله وسلم إقرارُه المزاحَ بين أزواجه في حضرته، وتبسُّمُه له:

(١) دونكم: بالنصب على الظرفية بمعنى الإغراء، وفيه إذنٌ وتنهيض لهم وتنشيط.

(٢) بَنِي أَرْفِدَةَ: قِيلَ هُوَ لَقَبٌ لِلْحَبَشَةِ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ جِنْسٍ لَهُمْ، وَقِيلَ اسْمُ جَدِّهِمُ الْأَكْبَرِ، وَقِيلَ الْمَعْنَى يَا بَنِي الْإِمَاءِ، وجاء في رواية عند أبي عوانة في صحيح: (فَإِنَّهُمْ بَنُو أَرْفِدَةَ)، كَأَنَّهُ يَعْنِي أَنَّ هَذَا شَأْنُهُمْ وَطَرِيقَتُهُمْ وَهُوَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ فَلَا إِنْكَارَ عَلَيْهِمْ.

(٣) متفقٌ عليه: رواه البخاري (٩٥٠)، ومسلم (٨٩٢).

(٤) صحيح البخاري: (٤٥٤).

(٥) صحيح البخاري: (٥٢٣٦).

(٦) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٩٠٢)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٧٧). قال الحافظ في الفتح (٢/ ٤٤٤): «وَلَمْ أَرَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ ذِكْرَ الْحُمَيْرَاءِ إِلَّا فِي هَذَا». وَحُمَيْرَاء تَصْغِير الحَمْرَاء، يُرِيدُ البَيْضَاء، كَذَا في «النهاية» لابن الأثير (١/ ٤٣٨).

عن عَائِشَةَ قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِخَزِيرَةٍ[7] قَدْ طَبَخْتُهَا لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ - وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَهَا: كُلِي، فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: لَتَأْكُلِنَّ أَوْ لَأُلَطِّخَنَّ وَجْهَكِ، فَأَبَتْ، فَوَضَعْتُ يَدِي فِي الْخَزِيرَةِ، فَطَلَيْتُ وَجْهَهَا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَضَعَ بِيَدِهِ لَهَا، وَقَالَ لَهَا: «**الْطَخِي وَجْهَهَا**»، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ لَهَا[8].

وفي رواية الزبير بن بكار: «فخفض لها رسولُ الله ركبتيْه لتستقيد مني، فتناولت من الصَّحْفة شيئًا فمَسَحَتْ به وجهي! وجعل رسولُ الله ﷺ يضحك».

وفي هذا الحديث ضربٌ من ضروب مزاحه ﷺ ودماثة خلقه، فإنه لما رأى ما فعلت عائشة بسودة رضي الله عنهما أراد أن تقتصَّ لنفسها، فخفض لها ركبتيه لتستقيد منها، وهو في هذا يضحك استملاحًا لمزاحهما، بل إنه ﷺ ضرَبَ معهما بسهم في المزاح، فقال لسودة: «**الْطَخِي وَجْهَهَا**»، فلطخت وجه عائشةَ رضي الله عنهما فضحك لها كما ضحك لعائشة.

وهذا المزاح بين أمهات المؤمنين لم يكن فيه إثارةٌ لضغائن كامنة أو أحقاد بين عائشة وسودة، وحاشاهنَّ من ذلك، بل هو من جنس تَبَادُح الصحابة بالبطيخ[9]، مع كون الأنفس متوادَّةً متراحمةً[10]. وشاهد ذلك في موقف عائشة وسودة رضي الله عنهما أن العلاقات بينهما كانت طيبة، وكلاهما من حزبٍ واحدٍ،

(٧) الخزير والخزيرة: قيل: طعام مصنوع من دقيق وسمن يُحلى بشيء، وقيل: لحم يقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق.

(٨) رواه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٤٤٩)، وقال فيه حسين سليم أسد: (إسناده حسن)، وكذا قال الشيخ الألباني في الصحيحة (٣١٣١).

(٩) أورد البخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٢٦٦) عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، يَتَبَادَحُونَ بِالْبِطِّيخِ، فَإِذَا كَانَتِ الْحَقَائِقُ كَانُوا هُمُ الرِّجَالُ"، وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" (٤٣٥). ويتبادحون بالبطيخ أي يترامَوْن به.

(١٠) مرويات المزاح والدعابة عن النبي ﷺ والصحابة، فهد العتيبي، (ص: ٦٩، ٧٠).

كما مرَّ بنا، وسودة هي التي وهبت يومها من رسول الله ﷺ – حين كبرَتْ – لعائشة. وأوضح من هذا في إظهار جميل المحبة والوُدِّ بين عائشة وسودة رضي الله عنهما، قول عائشة: "مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاخِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ"(١).

قال ابن الأثير: "كَأَنَّهَا تَمَنَّت أَنْ تكونَ فِي مِثْلِ هدْيِها وَطَرِيقَتِهَا"(٢).

وفي بيته يَستمع لشكاوى أصحابه:

وإلى بيوته ﷺ يأتي أصحاب الشكاوى والآلام يطلبون ما يداوي جراحهم ويرفع مصابهم:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لله الَّذِي وَسع سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَت الْمجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْت، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللهُ، ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] إِلَى آخرِ الآيَة(٣).

في بيته ﷺ تمرةٌ واحدة:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ، وَمَعَهَا ابْنَتَان لَهَا، فَسَأَلَتْنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَة وَاحِدَة، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَأَخَذَتْهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْنَتَاهَا، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَن ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (١٤٦٣).والْمِسْلَاخُ: هُوَ الْجِلْدُ وَمَعْنَاهُ أَنْ أَكُونَ أنا هي.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٨٩).

(٣) مسند أحمد: (٢٤١٩٥)، ط الرسالة، وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح على شرط مسلم).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٩٥)، ومسلم (٢٦٢٩)، واللفظ له.

والْمُرَادُ بالْإِحْسَان إِلَيْهِنَّ صِيَانَتُهُنَّ، وَالْقِيَامُ بِمَا يُصْلِحُهُنَّ مِنْ نَفَقَة وَكُسْوَة وَغَيْرهَا، وَالنَّظَرُ فِي أَصْلَح الْأَحْوَال لَهُنَّ، وَتَعْلِيمُهُنَّ مَا يَجِبُ تَعْلِيمُهُ، وَتَأْدِيبُهُنَّ وَزَجْرُهُنَّ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِنَّ فَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ الْإِحْسَانِ، وَإِنْ كَانَ بِنَهْرٍ أَوْ ضَرْبٍ عِنْدَ الِاحْتِيَاجِ لِذَلِكَ(٥).

بين المعتكف والحُجرة:

وكان ﷺ يُخْرِجُ رَأْسَهُ إِلَى حُجْرَة عَائِشَةَ فِي اعْتِكَافِه:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَنَّهَا كَانَتْ تُرَجِّلُ، تَعْنِي رَأْسَ رَسُول الله ﷺ، وَهِيَ حَائِضٌ، وَرَسُولُ الله ﷺ حِينَئِذ مُجَاورٌ فِي الْمَسْجد، يُدْنِي لَهَا رَأْسَهُ، وَهِيَ فِي حُجْرَتِهَا، فَتُرَجِّلُهُ وَهِيَ حَائِضٌ»(٦).

قَالَ ابن بَطَّال(٧): التَّرْجِيلُ تَسْرِيحُ شَعر الرَّأْس وَاللِّحْيَة وَدَهْنُهُ وَهُوَ مِنَ النَّظَافَةِ وَقَدْ نَدَبَ الشَّرْعُ إِلَيْهَا وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

وعن عائشة أيضًا أنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَأْتِينِي وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجد حَتَّى يَتَّكِئَ عَلَى عَتَبَة بَابِي، وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، وَسَائِرُهُ فِي الْمَسْجد»(٨). وفي رواية: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُخْرِجُ رَأْسَهُ وَهُوَ يَعْتَكِفُ، فَأَغْسِلُهُ»(٩).

---

(٥) طرح التثريب في شرح التقريب (٧/ ٦٧).

(٦) صحيح البخاري: (٢٩٦)، و(مجاور في المسجد) أي معتكف فيه.

(٧) نقله الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٣٦٨).

(٨) صحيح ابن حبان: (٣٦٧٠) ط شعيب الأرنؤوط، وقال فيه: إسناده صحيح.

(٩) السابق برقم: (٣٦٦٨)، وقال فيه الأرنؤوط: إسناده قوي، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢١٣٢).

وكان ﷺ يتعاون مع أهله في أمور البيت:

عَنِ الأَسْوَد، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ في بَيْته؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ في مِهْنَةِ[١] أَهْله - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ»[٢].

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ: «كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ[٣]، قَالَتْ: وَكَانَ يَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ في بُيُوتِهِمْ»[٤].

وفي رواية عنها أيضًا، قَالَتْ: سُئِلْتُ مَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْمَلُ في بَيْته؟ قَالَتْ: «كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلي[٥] ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ»[٦].

قال في طرح التثريب: "وَالْمِهْنَةُ الْمَذْكُورَةُ في رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ مُفَسَّرَةٌ بِمَا فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ مِنْ "خَصْف نَعْله وَخِيَاطَة ثَوْبه"، وَبِمَا في رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ في الشَّمَائِلِ "مِنْ فَلْيِ ثَوْبه وَحَلْب شَاته وَخِدْمَة نَفْسه". أَمَّا خِدْمَةُ أَهْله في الْحَاجَات الْمُخْتَصَّة بِهِنَّ فَهُوَ غَيْرُ مُرَاد في الْحَدِيث فِيمَا يَظْهَرُ وَلَا يُمْكِنُ لأُمَّهَات الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ الله عَنْهُنَّ - السُّكُوتُ عَنْ ذَلِكَ وَالْمُوَافَقَةُ عَلَيْه"[٧].

(١) الْمِهْنَةُ بِكَسْرِ الْمِيم وَبِفَتْحِهَا الخدمة، والمراد أنه كان يعاونهن، ويعمل معهن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦٧٦) و(٥٣٦٣).

(٣) (يَخْصِفُ نَعْلَهُ) أَيْ يَخْرُزُهَا طَاقَةً عَلَى الأُخْرَى وَيُرَقِّعُها، مِنْ الْخَصْفِ وَهُوَ الضَّمُّ وَالْجَمْعُ.

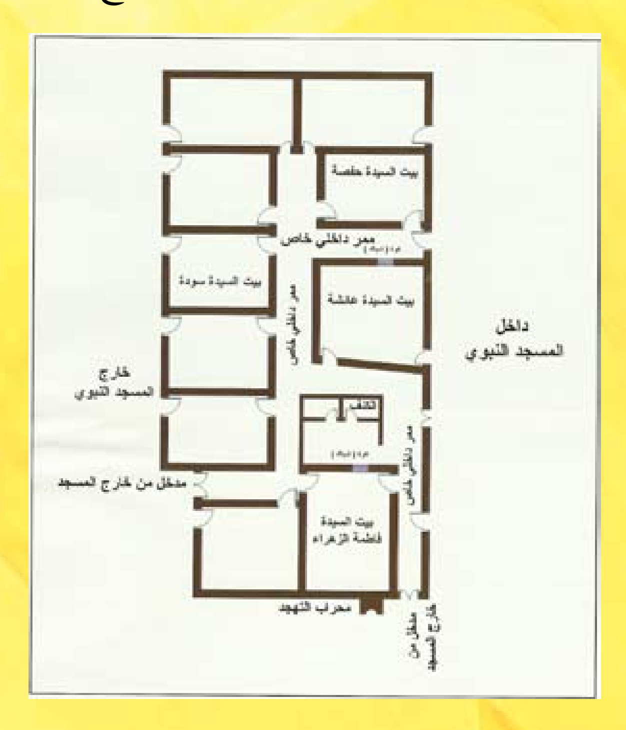
(٤) مسند الإمام أحمد، ط الرسالة، رقم: (٢٦٢٣٩)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (حديث صحيح).

(٥) فَلَى يَفْلي كَضَرَبَ يَضْرِبُ أي يفتش، والمراد يفلي ثَوْبَهُ لِلتَّنْظِيفِ مِنْ نَحْوِ الْغُبَار.

(٦) مسند أحمد (٢٦١٩٤)، وقال الشيخ الأرنؤوط: (حديث صحيح)، وكذا صححه الألباني في الصحيحة (٦٧١).

(٧) طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ١٨١).

وهكذا عاش النبي ﷺ مع أزواجه في هذه الحجرات ، حياة شفيفة محبة مؤمنة ، يضرب المثل والقدوة ويعلم المسلمين، ولولا اختصاصنا بالبحث عن حجرته وأحداثه لطال الحديث وطاب ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق وحياته كلها قلائد هدى ﷺ، فتح قلوب العباد والبلاد وسار على المحجة البيضاء ... حتى نزل به زائر الموت فكانت إرهاصات الوداع.



صورة تقريبية للجحرات

إرهاصات الوداع

بُشر النبي ﷺ باقتراب أجله في آيات عدة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥]، وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤] وقوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أنزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:١] على رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق، وعرف أنه الوداع)[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما (أن عمر رضي الله عنه سألهم عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:١] قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجَلٌ أو مَثَلٌ ضرب لمحمد ﷺ نعيت له نفسه)[٢].

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، (٩٤٦٤).
(٢) رواه البخاري، (٤٦٨٥).



وقال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

قال ابن العربي: (وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله)[٣].

وقد أشعر النبي ﷺ أصحابه في أكثر من موطن بقرب أجله وانتقاله إلى جوار ربه، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته فلما فرغ قال: **(يا معاذ! إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ـ أو قال: ـ لعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري)**، فبكى معاذ جشعًا

(٣) العواصم من القواصم، ص(٥٩).

لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: (**إن أولى الناس بي المتقون، من كانوا وحيث كانوا**)[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (أقبلت فاطمة تمشي، كأن مشيتها مشي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: (**مرحبًا بابنتي**)، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثًا فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثًا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ.

حتى قبض النبي ﷺ فسألتها فقالت: أسر إليَّ: (**إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العامَ مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي**) فبكيت، فقال: (**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين**) فضحكت لذلك[٢].

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمرهم أن يرموا بمثل حصى الخذف، وقال: (**لعلي لا أراكم بعد عامي هذا**)[٣].

المرض والموت:

عن أنس بن مالك الأنصاري أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ.

(١) رواه أحمد برقم (٢٢١٠٥)، وصححه ا بن حبان رقم (٦٤٧)، والألباني في صحيح الجامع رقم (٢٠١٢).
(٢) رواه البخاري برقم (٣٤٢٦) واللفظ له، مسلم (٢٤٥٠).
(٣) رواه الترمذي برقم (٨٨٦) وقال: حسن صحيح.

فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر، فتوفي من يومه[٤]، وفي رواية أخرى: وتوفي من آخر ذلك اليوم[٥].

قال ابن كثير: (وهذا الحديث في الصحيح، وهو يدل على أن الوفاة وقعت بعد الزوال، وذهب النووي وابن رجب إلى أنه توفي ضحى ذلك اليوم)[٦].

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: (إن من نعم الله عليَّ أنَّ رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحريِّ ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل علي عبد الرحمن وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه أن نعم.



من الأبار التي كان يصب ماؤها على رسول الله ﷺ أثناء تمريضه وكذلك غسل من مائها عليه الصلاة والسلام

(٤) رواه البخاري برقم (٦٤٨) واللفظ له، ومسلم (٤١٩).
(٥) رواه البخاري برقم (٧٢١).
(٦) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٥).

فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: أُلينه لك، فأشار برأسه أنْ نعم، فلينته فَأَمَرَّهُ وبين يديه ركوة أو علبة - يشك عمر - فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: (**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**)، ثم نصب يده فجعل يقول: (**في الرفيق الأعلى**) حتى قُبض ومالت يده[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ (أن الله ﷻ تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته حتى توفي، وأكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول الله ﷺ)[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت وهو مسند إلى صدرها وأصغت إليه وهو يقول: (**اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق**)[3].

قالت: فلما نُزل به ورأسه على فخذي غُشي عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: (**اللهم الرفيقَ الأعلى**)، قالت: فكانت آخر كلمة تكلم بها (**اللهم الرفيق الأعلى**)[4].

قال ابن حجر رحمه الله: (وكانت وفاته يوم الاثنين بلا خلاف من ربيع الأول، وكاد يكون إجماعًا ...)[5].

وبعد (أن أشرقت الدنيا برسالته ضياء وابتهاجًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار، وبلغ دينه القيم ما بلغ الليل والنهار، ثم استأثر الله به لينجز له ما وعده به في كتابه المبين، بعد أن بلغ

(١) رواه البخاري، (٤١٨٤) واللفظ له، ومسلم (٢٤٤٣).
(٢) رواه مسلم، (٣٠١٦).
(٣) رواه البخاري، (٤١٧٦) واللفظ له، ومسلم (٢٤٤٤).
(٤) رواه البخاري، (٤١٩٤) واللفظ له، ومسلم (٢٤٤٤).
(٥) فتح الباري (٨/ ١٢٩).

الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، وأقام الدين، وترك أمته على البيضاء الواضحة البينة للسالكين، وقال: ﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨])[6].

حال الصحابة بعد وفاته ﷺ:

قال ابن رجب – رحمه الله –: (ولما توفي اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية)[7].

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنح[8] فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، وليبعثنَّه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، قال: بأبي أنت وأمي طبت حيًّا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا.

ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: (ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)، وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ

(٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، (١/ ٤).
(٧) لطائف المعارف ص(١١٤).
(٨) السُّنح: موضع خارج المدينة.

﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فنشج الناس يبكون[١].

وعن أنس أن فاطمة – رضي الله عنهما – بكت على رسول الله ﷺ حين مات فقالت: (يا أبتاه! من ربه ما أدناه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه، يا أبتاه، جنة الفردوس مأواه)[٢].

ويقول أنس رضي الله عنه: (قلّ ليلة تأتي علي إلا وأنا أرى فيها خليلي ﷺ) وأنس يقول ذلك وتدمع عيناه[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه، ووضع يديه على صدغيه، وقال: (وانبياه، واخليلاه، واصفياه)[٤].

ولما دفن قالت فاطمة – رضي الله عنها – : (يا أنس! أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟!)[٥].

وقال أنس رضي الله عنه: (فما رأيت يومًا قط أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر المدينة، وشهدت وفاته فما رأيت يومًا قط أظلم ولا أقبح من اليوم الذي توفي رسول الله ﷺ فيه)[٦].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٦٧).
(٢) رواه النسائي برقم (١٨٤٤)، وأصله في البخاري برقم (٤١٩٣).
(٣) رواه أحمد برقم (١٣٢٩٠). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨٢): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
(٤) رواه أحمد برقم (٢٤٠٧٥). وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٥٧).
(٥) رواه البخاري برقم (٤١٩٣).
(٦) رواه أحمد برقم (١٢٢٥٦).

قال أبو ذؤيب الهذلي: (قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلوا جميعًا بالإحرام، فقلت: مه؟! فقالوا: قبض رسول الله ﷺ)[٧].

وقال عثمان: (توفي رسول الله ﷺ فحزن عليه رجال من أصحابه حتى كان بعضهم يوسوس، فكنت ممن حزن عليه، فبينما أنا جالس في أطم من آطام المدينة ـ وقد بويع أبو بكر - إذ مر بي عمر فسلم علي، فلم أشعر به لما بي من الحزن)[٨].

لكن حزن الصحابة وعظيم المصاب لم يخرجهم عن الصبر والتصبر إلى النواح والجزع، قال قيس بن عاصم: (لا تنوحوا علي، فإن رسول الله ﷺ لم يُنَح عليه)[٩].

وصايا النبي ﷺ في مرض وفاته :

لا ريب أن أقوال النبي ﷺ جميعًا موضع للعبرة والعظة، لكنه ﷺ اختص أمته ببعض الوصايا وهو في مرض موته، وهو مقبل على الآخرة مدبر عن الدنيا. فما هي آخر وصاياه ﷺ ؟

١ -التحذير من اتخاذ قبره مسجدًا.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال في مرضه الذي مات فيه: (**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدًا**)، قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أني أخشى أن يتخذ مسجدًا[١٠].

---

(٧) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٥٥). انظر: فتح الباري (٨/ ٥٨٠).
(٨) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٣١٢).
(٩) رواه النسائي برقم (١٨٥١).
(١٠) رواه البخاري برقم (١٢٦٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٣١).

٢- **إخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم ﷺ.**

وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول: يوم الخميس، وما يوم الخميس! ثم بكى حتى بلّ دمعه الحصى، قلت: يا أبا عباس، ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: (**ائتوني بكتف أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا**)، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع... فقال: (**ذروني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه**)، فأمرهم بثلاث قال: (**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**)، والثالثة خير، إما أن سكت عنها، وإما أن قالها فنسيتها[١].

٣- **الوصية بالإحسان إلى الأنصار:**

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه بمِلْحفة قد عُصب بعصابة دسماء حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (**أما بعد: فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام، فمن ولي منكم شيئًا يضر فيه قومًا وينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم**)، فكان آخر مجلس جلس به النبي ﷺ[٢].

(١) رواه البخاري برقم (٢٨٨٨) واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٣٧).
(٢) رواه البخاري برقم (٣٤٢٩).

٤- **تخصيص الركوع بتعظيم الله، والسجود بكثرة الدعاء.**

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: (**أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب ﷻ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقَمِنٌ أن يستجاب لكم**)[٣].

٥- **ملازمة الصلاة والإحسان إلى الأرقاء.**

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: (**الصلاةَ وما ملكت أيمانكم**)، فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه[٤].

قال السندي رحمه الله: قوله: «حتّى ما يفيض بها لسانه» أي: ما يجري ولا يسيل بهذه الكلمة لسانه، من فاض الماء إذا سال وجرى حتّى لم يقدر على الإفصاح بهذه الكلمة)[٥].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه: (**الصلاة وما ملكت أيمانكم**)[٦].

(٣) رواه مسلم برقم (٤٧٩).
(٤) رواه ابن ماجه برقم (١٦٢٥).
(٥) حاشية السندي على ابن ماجه (١٦٢٥).
(٦) رواه ابن ماجه برقم (٢٦٩٧).



تخصيص الركوع بتعظيم الله، والسجود بكثرة الدعاء.

ملازمة الصلاة والإحسان إلى الأرقاء.

إخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم ﷺ

الوصية بالإحسان إلى الأنصار.

التحذير من اتخاذ قبره مسجدًا

الدفن في حجرة عائشة رضي الله عنها:

فلما كان قبل وفاته ﷺ مرض مرضًا شديدًا، فاستأذن نساءه أن يكون في حجرة عائشة رضي الله عنها، فلما نُزل به جعل يحذر أمته من فعل اليهود والنصارى باتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، فعن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: (لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتمَّ بها كَشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: **لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**. يحذر ما صنعوا)[1].

وفي يوم الاثنين الموافق [١٢ ـ ربيع الأول ـ سنة ١١هـ] التحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، وهو في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها[2]، والتي سميت فيما بعد بـ«الحجرة النبوية»، وكان بابها يفتح على الروضة الشريفة[3].



(١) رواه البخاري برقم (٤٢٥).

(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن كان رسول الله ﷺ ليتعذر في مرضه: أين أنا اليوم، أين أنا غدًا استبطاءً ليوم عائشة، فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري، ودفن في بيتي). رواه البخاري، (١٣٨٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٤٤٣).

(٣) ويدل على هذا: ما ورد في الصحيحين مرفوعًا: (**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**). رواه البخاري، (١١٩٥)، ومسلم (٣٤٣٤)، من حديث عبد الله بن زيد المازني.

فلما توفي النبي ﷺ اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في المكان الذي يُدفن فيه، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيته، قال: (**ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه**)، ادفنوه في موضع فراشه)[4].

فدفن ﷺ في موضع فراشه من حجرة عائشة رضي الله عنها، على يمين الداخل في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة.



قال الشافعي: (أخبرني الثقات من أصحابنا أن قبر النبي ﷺ على يمين الداخل من البيت لاصق بالجدار، والجدار الذي اللحد لجنبه قبلة البيت، وأن لحده تحت الجدار)[5]اهـ.

وقال ابن كثير رحمه الله: (قد علم بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام دفن في حجرة عائشة التي كانت تختص بها، شرقي مسجده في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة)[6]اهـ.

ودفن ﷺ ورأسه الشريف إلى الغرب، ورجليه إلى الشرق، ووجهه الكريم إلى القبلة.

(٤) رواه الترمذي (١٠١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٤٩).

(٥) الأم (١/ ٢٤١).

(٦) البداية والنهاية (٨/ ١٥٣).

قال ابن حزم: (مسألة: ويجعل الميت في قبره على جنبه اليمين، ووجهه قبالة القبلة، ورأسه ورجلاه إلى يمين القبلة ويسارها. على هذا جرى عمل أهل الإسلام من عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، وهكذا كل قبر على ظهر الأرض)[١]اهـ.

قال سعد بن أبي وقاص عند موته: (الحدوا لي لحدًا وانصبوا علي اللبن نصبًا كما صنع برسول الله ﷺ)[٢].

ويقول العلامة الشوكاني رحمه الله: (ومات ﷺ ولم يرفع قبره أصحابه ... فما أحق الصلحاء والعلماء أن يكون شعارهم هو الشعار الذي أرشدهم إليه)[٣].

ورُفع قبر النبي عليه الصلاة والسلام رفعًا يسيرًا مقدار شبر أو نحوه، فقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ ألحد له ونصب عليه اللبن نصبًا ورفع قبره نحوًا من شبر)[٤].

قال المعلمي رحمه الله: (حديث ابن حبان فيه أن من الهيئة المشروعة رفع القبر نحو شبر، وهو من فعل الصحابة رضي الله عنهم وخيارهم فيهم وهم مجتمعون فلا يصنعون بقبر النبي ﷺ إلا ما يعلمون أنه المشروع، ولم ينقل عن أحد منهم خلاف ولا بأيدينا دليل يخالف نقلهم وعليه فهو حجة)[٥].

---

(١) المحلى (٥/ ١٧٣).
(٢) رواه مسلم، (٢٢٨٤)، انظر للتوسع المباحث العقدية المتعلقة بقبر النبي ﷺ.
(٣) شرح الصدور بتحريم رفع القبور، الشوكاني، ص(٣٤).
(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ٦٠٢)، والبيهقي في السنن، كتاب الجنائز، لا يزاد في القبر على أكثر من ترابه لئلا يرتفع جداً، (٣/ ٤١٠)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ٢٠٧).
(٥) عمارة القبور ص(١٣٣).

كما شوهد هذا الرفع (أي رفعه شبرًا) في قبر النبي عليه الصلاة والسلام، قال صالح بن أبي صالح[٦]: (رأيت قبر رسول الله ﷺ شبرًا أو نحوه شبر)[٧].

وقال أبو بكر[٨]: (أخبرني غير واحد أن قبر النبي ﷺ رفع جدثه شبرًا، وجعلوه ظهره مسنما ليست له حدبة)[٩].

وقد كان الصحابة يكرهون رفع القبور الرفع المنهي عنه، قال عمرو بن شرحبيل[١٠] رحمه الله وقد أوصى ألا يرفع قبره: (فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك)[١١] أي رفع القبور.

وفعلهم هذا في قبر النبي عليه الصلاة والسلام من جعلهم القبر على مقدار الشبر دليل على استحبابه والاقتصار عليه، ودل الدليل على جواز واستحباب الرفع اليسير.

وقد حكى الحافظ النووي رحمه الله اتفاق الشافعية على استحباب الرفع المذكور[١٢] وقد روى الآجري[١٣] عن غنيم بن بسطام المديني[١٤] ما ظاهره التعارض مع ما سبق

---

(٦) هو: صالح بن أبي صالح مولى التوأمة المدني، صدوق اختلط قال ابن عدي لا بأس برواية القدماء عنه، مات سنة ١٠٥هـ انظر: تقريب التهذيب ص(٢٠١٥).
(٧) أخرجه أبو داود في المراسيل كما في النيل (٤/ ٩٤).
(٨) هو: أبو بكر حفص بن عمر بن سعد القرظ المؤذن المدني: انظر: تقريب التهذيب ص(١١٢).
(٩) أخرجه عبد الرازق في المصنف (٣/ ٢٠٥) وانظر طبقات ابن سعد (٢/ ٣٠٧).
(١٠) هو عمرو بن شرحبيل الهمداني، ثقة مخضرم، توفي سنة ثلاث ثلاث وستين، انظر ترجمته في تقريب التهذيب لابن حجر (ص٣٦٠).
(١١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٣/ ٥٠٣)، وإسناده حسن.
(١٢) انظر أحكام الجنائز للألباني (ص/ ١٥٤).
(١٣) الشريعة (٥/ ٢٣٩١).
(١٤) اسمه كما وقع في إسناد الآجري عثيم بن نسطاط المديني وهو مقبول كما ذكر الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب ٣٢٨ وتصحف اسمه في فتح الباري (٣/ ٢٥٧) إلى غنيم بن بسطام

حيث جاء عنه أنه قال: رأيت قبر النبي ﷺ في إمارة عمر بن عبد العزيز، فرأيته مرتفعًا نحو أربع أصابع)[١].

فهذا إن صح فهو يدل على نقص التراب إلى هذا الحد لا أنه في بداية الأمر، وفي هذا النقص دليل على ترك معاهدة القبور بالزيادة عليها وإن نقصت عن القدر المشروع، ووجه الدلالة كما يقول العلامة المعلمي: (وذلك أن القدر المشروع في الرفع، والمصنوع في قبر النبي ﷺ، هو نحو شبر، كما في حديث ابن حبان، فدل كونه بعد زمان بقدر أربع أصابع أنه لم يتعاهد بزيادة مع تناقصه)[٢].

وقد كان قبره ﷺ مسنمًا قال سفيان التمار رحمه الله: (رأيت قبر النبي ﷺ مسنمًا)[٣].

وقال إبراهيم النخعي[٤] رحمه الله: (أخبرني كل من رأى قبر النبي ﷺ وصاحبيه مسنمة ناشزة عليها مدر أبيض)[٥] وقال ابن جريج: (أخبرني أبو بكر عن غير واحد أن قبر النبي ﷺ رفع جدثه شبرًا، وجعلوا ظهره مسنمًا ليست له حدبة)[٦].

انظر تحقيق الشريعة (٥/ ٢٣٩١) وتصحف اسمه في عون المعبود (٩/ ٢٩) إلى هيثم بن بسطام.

(١) إسناد هذا الوصف ضعيف بسبب عثيم فهو مقبول كما في الإسناد سعيد بن عثمان لم يوثق انظر تعقيق الشريعة للآجري (٥/ ٢٣٩١) وانظر عمارة القبور للمعلمي (ص١٤٠).

(٢) عمارة القبور (ص١٤٠).

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب ما جاء في صفة قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (ص/ ٢٢٣ ح ١٣٢٦).

(٤) هو: الإمام العلم الفقيه، إبراهيم بن يزيد، أبو عمران النخعي، توفي سنة ست وتسعين. انظر ترجمته في تقريب التهذيب لابن حجر (ص/ ٣٥).

(٥) ذكره عنه الطحاوي انظر شرح ابن بطال للبخاري (٣/ ٣٨٢).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٠٥).

كما وصف القبر بأنه مسنمًا القاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبد الله بن عمر وأبي جعفر حيث قالوا كان قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر جثا قبلة)[٧].

ومعنى قولهم جثا أي على شكل الجثة،لأن القبر المسنم يشبه هيئة الإنسان المبطوح ولاسيما مع اعتبار ظاهر القبر ظهرًا له، وقد أورد الحافظ ابن أبي شيبة رحمه الله هذا الوصف عنهم في باب تسنيم القبر من مصنفه.

ولكثرة الواصفين لقبر النبي ﷺ الذين صرحوا بالتسنيم قال الحنفية: (كل من رأى قبر النبي ﷺ أخبر بأنه مسنمًا)[٨].

فعمموا الرؤية ولم يعينوا الرائي ـ وذلك كما يقول المحقق ابن الهمام الحنفي ـ (لأن في الرآين كثرة)[٩].

كما استدل من ذهب إلى هذا القول بالآثار الواردة في تسنيم قبور الصحابة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وبعد عهده مما يدل على كثرة التسنيم ومن ثم يدل على فضله.

قال الشعبي رحمه الله: (رأيت قبور شهداء أحد جثا مسنمًا)[١٠].

---

(٧) أخرجه عنهم ابن أبي شيبه في المصنف (٣/ ٢٣).

(٨) انظر فتح القدير لابن الهمام (٢/ ١٤٩)، والبحر الرائق لابن نجيم (٢/ ٣٤٠).

(٩) فتح القدير (٢/ ١٤٩).

(١٠) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٠٤).

وشهداء أحد نحو أربعين رجلًا فدل هذا العمل في قبورهم على سنية التسنيم[١].

وقال خالد بن أبي عثمان رحمه الله: (رأيت قبر ابن عمر مسنمًا)[٢].

كما ذكروا عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أنه أمر أن تسوى القبور تسوية تسنيم[٣] فدل أن من السنة تسنيم القبور تسوية تسنيم.

قال الإمام الطبري: (هيئة القبور سنة متبعة، ولم يزل المسلمون يسنمون قبورهم)[٤].

فهذا الوصف الوارد في قبر النبي عليه الصلاة والسلام وهذه الآثار دليل على تسنيم قبر النبي ﷺ وسنيته، لأن الصحابة لا يفعلون في قبر النبي عليه الصلاة والسلام إلا المشروع ولا يكثر عندهم في أمور دينهم إلا الأحسن)[٥].

والأصل كما تقدم أن ما فعل في قبره عليه الصلاة والسلام هو المشروع، ولهذا اعتمد البخاري هذه الصفة في صحيحه[٦].

(١) انظر: عمارة القبور (ص/ ١٤٢).
(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٢).
(٣) انظر: شرح ابن بطال للبخاري(٣/ ٣٨٢) وإكمال المعلم (٣/ ٤٣٨-٤٣٩).
(٤) انظر: الجوهر النقي لابن التركماني (٥/ ٤)، وعمارة القبور (ص/ ١٢٣).
(٥) انظر: عمارة القبور (ص/ ١٤٢،١٣٣).
(٦) انظر: صحيح البخاري (ص/ ٢٢٣).

الحكمة من الرفع اليسير وتسنيم القبر:

والسبب الذي من أجله استحب هذا الرفع شبرًا أو نحوه والتسنيم هو تميز القبر حتى يعرف بأنه قبر فيصان ولا يهان، وتطبق عليه أحكام الزيارة الشرعية من الصلاة والسلام على الميت والدعاء له وعدم الجلوس عليه وغيرها من الأحكام الواردة في القبور.

وقد صرح أهل العلم بهذه العلة قال طاووس رحمه الله: (كان يعجبهم أن يرفع القبر شيئًا حتى يعلم أنه قبر)[٧].



وقال إبراهيم النخعي رحمه الله: (كان يقال: ارفعوا القبر حتى يعرف أنه قبر فلان فلا يوطأ)[٨].

وقال عياض رحمه الله: (ثم تسنم ليتميز أنه قبر)[٩].

(٧) انظر شرح ابن بطال للبخاري (٣/ ٣٨٢).
(٨) انظر الآثار لمحمد بن الحسن (٢/ ١٩٠)، وعمارة القبور للمعلمي (ص/ ١٢٢).
(٩) إكمال المعلم (٣/ ٤٣٨، ٤٣٩).

وقال الفقيه ابن قدامة رحمه الله: (ويرفع القبر عن الأرض قدر شبر، ليعلم أنه قبر فيتوقى ويترحم على صاحبه)[١].

قال ابن القيم رحمه الله: (وقبره مسنماً مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبني ولا مطين)[٢].

فالواجب الإقتداء بهذه الصفات وعدم الخروج عنها شبرًا، فهذا نبينا ﷺ لم يرفع قبره إلا نحو شبر، وهو الذي له من الكرامة والجاه ما ليس لغيره من البشر، ولو كان رفع القبور من باب التعظيم وحب الصالحين لفعل بقبره لأنه أولى الناس بالتعظيم والحب، لكن لما لم يفعلوا بقبره هذا الأمر دل على أنه لا يجوز فعله حتى على الإباحة الأصلية، لأن تميز القبور بغير الوارد عنه ﷺ من الأمر الخارج عن قانون الشريعة ، لأنه جاء بسد الذرائع والوقاية من الوقوع بالشرك، ومن المعلوم المقرر الذي دلت عليه السنة النبوية أن تميز القبور بشيء لم تدل عليه السنة سبيل إلى تعظيمها تعظيماً غير شرعي، وهذا من الأمر المشاهد فإن القبر المميز يعظم أكثر من غيره.

قال العلامة المعلمي: (لما هو مشاهد أن القبر المميز على غيره برفع وتجصيص وبناء وستر ونحوه يعظمه الجهال دون غيره)[٣].

(١) المغني (٣/ ٤٣٦).
(٢) زاد المعاد (٣/ ٥٢٤).
(٣) عمارة القبور(ص/ ١٥٢).

ولهذا يجب هجر تزيين القبور وزخرفتها وإلقاء الورود والبناء عليها وتطيبها وألا تعلق الستور عليها، وألا تجعل في المساجد ولا في البيوت ولا تنصب الرايات عندها وألا ترفع الرفع غير المشروع، كما ينبغي أن تحترم احترام مثلها فلا يجلس عليها ولا توطأ ولا يتكى عليها، ويُدعى لأصحابها ويسلم عليهم إلى غير ذلك من الأحكام المتعلقة بالقبور نهيًا وأمرًا. فما أحسن هذه الشريعة الإسلامية وتوسطها في أمر القبور فلا إفراط ولا تفريط.



قال الحافظ ابن القيم: (فكيف يستبعد أن يكون من محاسن الشريعة إكرام هذه المنازل عن وطئها بالنعال واحترامها، بل هذا من تمام محاسنها)[٤].

يقول العلامة المعلمي رحمه الله قال: (أحكام القبور شرعية والشرع توقيف)[٥].

(٤) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (٩/ ٣٨).
(٥) عمارة القبور (ص/ ١٢٤).

(ألا ترى إلى الأمر بأن يوضع الميت فيها على يمينه مستقبلًا، وأن لا يوضع إلا مغسولًا مكفنًا، إلى غير ذلك. إذًا فأول ما يلزمنا أن نبحث عن الكيفية التي قررها الشارع للقبور، ثم نعض عليها بالنواجذ، ولا نعتدي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧])[١].

قال العلامة الألوسي[٢] رحمه الله: (ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله ﷺ في قبره عليه الصلاة والسلام وهو أفضل قبر على وجه الأرض، والوقوف على أفعالهم في زيارتهم له والسلام عليه الصلاة والسلام فتتبع ذاك وتأمل ما هنا وما هناك والله سبحانه يتولى هداك)[٣].

ولما توفي الصديق رضي الله عنه دفن في الحجرة خلف النبي ﷺ بذراع، عن عمرو بن هانئ عن القاسم بن محمد قال: دخلت على عائشة فقلت: (يا أماه! اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه، فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء).

فرأيت رسول الله ﷺ مقدمًا وأبا بكر رأسه بين كتفي النبي ﷺ، وعمر رأسه عند رجلي النبي ﷺ)[٤].

(١) عمارة القبور (ص/ ١٠٥).
(٢) هو: محمد شكري الألوسي العراقي، من علماء الأدب والشريعة، وهو من الذابين المنافحين عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، له عدة كتب مفيدة من أشهرها: غاية الأماني في الرد على النبهاني، توفي سنة ١٣٤٢ هـ انظر ترجمته في أعلام العراق لتلميذه البيطار (ص٣٦)، وأعلام الزركلي (٧/ ١٧٢).
(٣) روح المعاني (١٥/ ٢٣٩، ٢٤٠).
(٤) رواه أبو داود برقم (٣٢٢٢) والحاكم في مستدركه (١/ ٣٦٩) واللفظ له، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وإسناده ضعيف، لجهالة عمرو بن هانئ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (٧٠٥).



صورة متخيلة للقبور الثلاثة

وأخرج أبو بكر الآجري من طريق مالك بن مغول عن رجاء بن حيوة قال: (كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز... وفيه قال رجاء: وكان قبر أبي بكر عند وسط النبي ﷺ، وعمر خلف أبي بكر رأسه عند وسطه).

قال الحافظ عَقِبه: (وهذا ظاهره يخالف حديث القاسم؛ فإن أمكن الجمع وإلا فحديث القاسم أصح). ثم قال: (وأما ما أخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن عائشة: أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، فسنده ضعيف، ويمكن تأويله، والله أعلم)[٥]اهـ.

وقد ذكر السمهودي نقلًا عن ابن عساكر سبع روايات في صفة القبور الثلاثة، ووصف رواية القاسم أنها أصح الروايات[٦].

ولما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن منيته قد حانت استأذن الصديقة رضي الله عنها بأن يدفن إلى جوار صاحبيه، فلما

(٥) فتح الباري (٣/ ٢٥٧).
(٦) وفاء الوفا (٢/ ٣٠٩- ٣١٥).

في بنائه، فبدت لهم قدمٌ، ففزعوا، وظنوا أنها قدم النبي ﷺ فما وجدوا أحدًا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة: لا والله، ما هي قدم النبي ﷺ ما هي إلا قدم عمر رضي الله عنه)[٤].

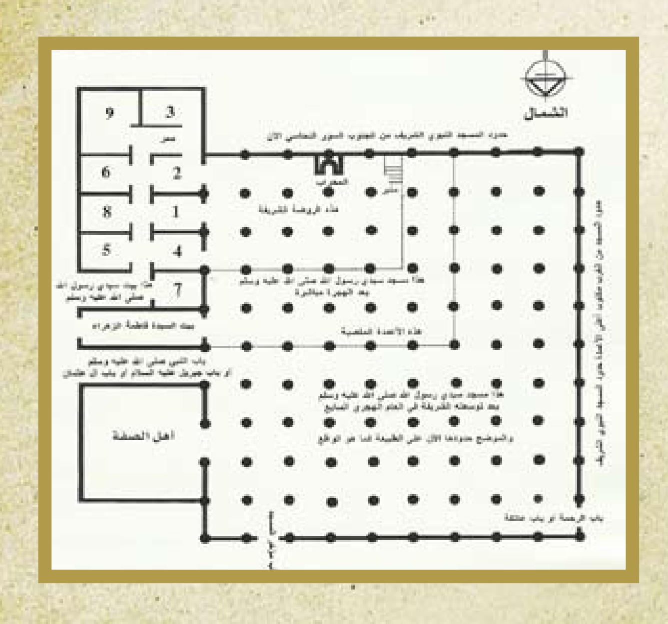
ولم تكن الحجرة الشريفة في المسجد ولا في قبلته، بل عن يسار المصلى خارج المسجد، ولم تضم إليه حينما وسع عثمان رضي الله عنه المسجد النبوي، وإنما ضمت بعد زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

ولما احتاج المسلمون إلى توسعة المسجد لضيقه بالناس وُسِّع من الجهة الجنوبية والشمالية والغربية، وأما الجهة الشرقية التي فيها حجرات أزواجه عليه الصلاة والسلام ومنها حجرة عائشة بالخصوص فما كان يؤخذ منها إلا لما احتيج.

قال النووي: (ولما احتاج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

بنوا على القبر حيطانًا مرتفعة مستديرة حوله؛ لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا؛ حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. ولهذا قال في الحديث: (ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا). والله أعلم بالصواب)[٥].

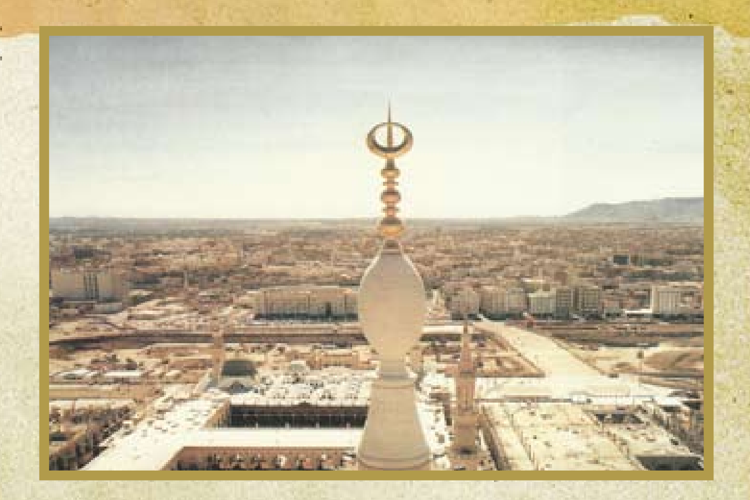
وسيأتي أن إدخال الحجرة كان بعد عهد الصحابة رضي الله عنهم.



مخطط كروكي توضيحي يبين المسجد النبوي وتوسعته في العام السابع الهجري وكذلك الحجرات الشريفة:

١- أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها.
٢- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
٣- أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها.
٤- أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها.
٥- أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها.
٦- أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.
٧- أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.
٨- أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.
٩- أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها.

(٤) رواه البخاري برقم (١٣٢٦).
(٥) شرح مسلم (٥/ ١٢-١٣).



الحجرة الشريفة ومراحل البناء والتجديد:

لقد مرت الحجرة النبوية الشريفة بعدد من مراحل البناء والتجديد نسردها ـ كما يذكرها المؤرخون ـ على النحو التالي:

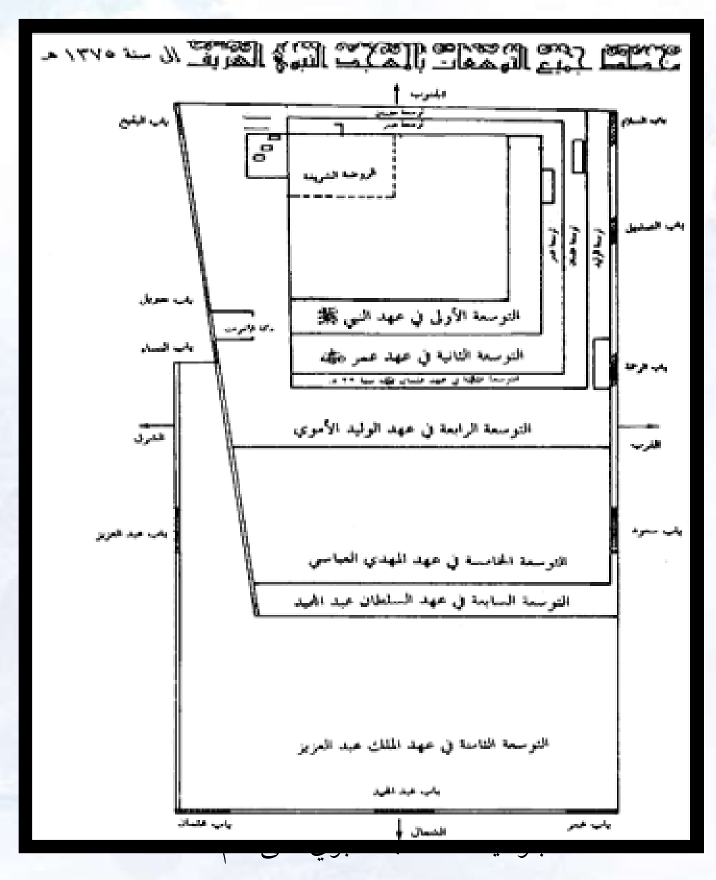
- كانت الحجرة الشريفة في العهد الأول مبنية باللبن وجريد النخل ـ كما تقدم ـ على مساحة صغيرة.
- ثم أُبدل الجريد بالجدار في عهد عمر بن الخطاب، وكان جدارًا قصيرًا[1].
- ثم بناه عبد الله بن الزبير[2].
- ثم أعاد عمر بن عبد العزيز بناءها سنة ثمان وثمانين، وقيل: سنة إحدى وتسعين للهجرة.

---

(١) انظر: وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٠١، ٢٩٧-٣٠٢)، ونسب ذلك لرواية ابن سعد، والخبر في طبقات ابن سعد (٢/ ٢٥٦) قال: أخبرنا يحيى بن عباد أخبرنا حماد بن زيد. قال: سمعت عمرو بن دينار وعبيد الله بن أبي يزيد قالا: لم يكن على عهد رسول الله ﷺ على بيت النبي حائط، فكان أول من بني عليه جدارًا عمر بن الخطاب.

(٢) انظر: وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٠٢).

توسعات المسجد النبوي الشريف



المسجد النبوي هو أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، ويضم هذا المسجد مصلى رسول الله ﷺ، ومنبره والروضة الشريفة والاسطوانات التي لها مناسبات تاريخية، وقد كان هذا المسجد منطلق الأحداث الحاسمة التي جلبت الخيرات والبركات للبشر قاطبة ، واتخذت فيه قرارات غيرت تاريخ العالم كله، إذ كان مقرًّا للحكم في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، وكان ملتقى أهل الرأي والشورى من أصحابه ﷺ.

ولذا فقد كان المسجد النبوي محل اهتمام خاصة المسلمين وعامتهم، ومر بعدة توسعات منذ بنائه في عهد النبي ﷺ، وضمت إليه الحجرة الشريفة التي دفن فيها ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، كما شملت التوسعات حجرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وفيما يلي بيان موجز لأهم هذه التوسعات وماتغير بالحجرة النبوية بناء على كل توسعة :

توسعة أبي بكر رضي الله عنه :

تولى أبو بكر الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقد ارتدت بعض القبائل عن الإسلام، فانشغل بحروب الردة عن توسعة المسجد النبوي، ومع هذا فإن بعض الروايات تفيد بأن سواري المسجد نخرت في عهده فغيرها بجذوع النخل.



كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن مسجد النبي ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل أعلاه مظلل بجريد النخل، ثم إنها نخرت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فبناها بجذوع النخل وبجريد النخل[1].

(١) دلائل النبوة، البيهقي، (٢/ ٥٤).

توسعة عمر رضي الله عنه :

في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحت الفتوح ومصرت الأمصار وكثر الناس، فقالوا:يا أمير المؤمنين لو وسعت في المسجد[2]، فقال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول لي: نزيد في مسجدنا ما زدت فيه[3]، فقام أمير المؤمنين رضي الله عنه بتوسعة المسجد وعمارته سنة سبع عشرة من الهجرة (١٧هـ/ ٦٣٨م)، وبنى أساسه بالحجارة إلى أن بلغ قامة.

وقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن المسجد كان في عهد رسول الله ﷺ مبنيًا باللبن والجريد، قال مجاهد: وعمده من خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا.

وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبًا[4]، فزاد من جهة القبلة إلى الرواق[5] المتوسط بين المصلى النبوي والمصلى العثماني، وذلك نحو عشرة أذرع أي خمسة أمتار، وزاد من جهة الشمال ثلاثين ذراعًا أي خمسة عشرة مترًا، ولم يزد من جهة المشرق شيئًا لمكان الحجرة النبوية؛ بل بيّن أن ليس إليهن سبيل كما سيأتي .

وبهذا صار طول المسجد من جهة الشمال إلى الجنوب ١٤٠ ذراعًا = ٧٠ مترًا، وعرضه ١٢٠ ذراعًا = ٦٠ مترًا تقريبًا، وارتفاع سقفه ١١ ذراعًا، وفتح باب السلام في أول الحائط الغربي من جهة الجنوب، وفتح باب النساء في الحائط الشرقي،

(٢) أخبار مدينة الرسول ﷺ، ص(٩٣).
(٣) رواه أحمد، الفتح الرباني (٢٣/ ٢٢٦).
(٤) سنن أبي داود (٢/ ٤٤٩)، رواه أحمد، الفتح الرباني (٢٣/ ٢٢٦).
(٥) الروق جمع أروقة، وهي بيت كالغسطاط، يجعل على واحد طويل، ورواق البيت مقدمه وسقيفة للدراسة في مسجد أو معبد أو غيرها، المعجم الوسيط، (١/ ٣٨٣).

وأمر بالحصباء[1]، فجيء به من العقيق فبسط في المسجد[2].

البطيحاء:

لقد حرص الفاروق رضي الله عنه على أن يؤدي المسلمون صلاتهم وعبادتهم بخشوع وطمأنينة، ولذا عندما أعاد بناء المسجد النبوي الشريف ووسعه، بنى رحبة خارج المسجد، وعرفت هذه الرحبة بالبطيحاء.

قال الفيروزآبادي: (البطيحاء تصغير البطحاء، رحبة مرتفعة نحو الذراع، بناها عمر بن الخطاب رضي الله عنه خارج المسجد بالمدينة)[3].

وأفاد ابن شبة عن موقعها بأنها كانت بالجهة الشرقية للمسجد مما يلي مؤخره، وأنها كانت قريبة من دار خالد بن الوليد رضي الله عنه، وقد دخلت للمسجد أثناء التوسعة التي حدثت بعد عمر رضي الله عنه[4]، وعن أهدافها روى ابن شبة عن سالم بن عبد الله أن عمر اتخذ مكانًا إلى جانب المسجد يقال له البطيحاء، وقال: من أراد أن يلغط أو يرفع صوتًا أو ينشد شعرًا فليخرج إليه[5].

توسعة عثمان رضي الله عنه:

كانت التوسعة والعمارة العثمانية لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول سنة تسع وعشرين من الهجرة (٢٩هـ/ ٦٤٩م)، وكانت الزيادة في كل من جهة القبلة والشمال والمغرب، فزاد من جهة القبلة رواقًا، وجعل جداره في القبلة [موضع جداره اليوم]، وهو منتهى الزيادات في هذه الجهة حتى الآن، وزاد من جهة المغرب رواقًا، وهو الأسطوانة الثامنة من المنبر على الراجح، وزاد من جهة الشمال عشرة أذرع، وهكذا زاد في الجهات الثلاثة بمقدار عشرة أذرع أي خمسة أمتار.

وبناه من الحجارة المنقوشة والجص[6]، وغطى سقفه بخشب الساج[7]، وجعل عمده من حجارة منقورة حشوها عمد الحديد والرصاص، وبنى المقصورة[8]، على مصلاه من لبن، وجعل فيها طيقانًا[9]، ينظر الناس منها إلى الإمام، وكان يصلي فيها خوفًا من الذي أصاب عمر رضي الله عنه.

وكان يباشر عمل البناء ويشرف عليه بنفسه، فعن عبد الرحمن بن سفينة قال: (رأيت القَصة[10]، تُحمل إلى عثمان وهو يبني مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بطن نخل، رأيته يقوم على رجليه والعمال يعملون فيه حتى تأتي الصلاة فيصلى بهم، وربما نام ثم رجع وربما نام في المسجد)[11].

---

(١) الحصباء: واحدته حصبة: صغار الحجارة وهي الحصى، لسان العرب (٣/ ١٩٩)، المعجم الوسيط (١/ ١٧٧).

(٢) أخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ص(٩٣-٩٦)، تحقيق النصرة ص(٤٦-٤٧)، خلاصة الوفا ص(١٨٠-١٨٢)، عمدة الأخبار ص(١٠٦-١٠٧)، المدينة المنورة تطورها العمراني، ص(٦٢-٦٣).

(٣) المغانم المطابة في معالم طابة، ص(٥٧).

(٤) وفاء الوفا (٢/ ٤٩٨).

(٥) وفاء الوفا (٢/ ٤٩٧- ٤٩٨).

(٦) الجص: بكسر الجيم من مواد البناء، والجصاص صانع الجص وبائعه، المعجم الوسيط (١/ ١٢٤).

(٧) الساج: خشب يجلب من الهند، واحدته ساجة، والساج شجر يعظم جدًا ويذهب طولاً وعرضًا، وله ورق أمثال التراس الديلمية يتغطى الرجل بورقة منه فتكنه من المطر، وله رائحة طيبة تشابه رائحة ورق الجوز مع رقة ونعمة، لسان العرب(٦/ ٤١٩).

(٨) المقصورة: جمعها مقاصر ومقاصير، وهو مقام الإمام، وأصله الدار المحصنة، أو الحجلة، والحجلة مثل القبة، لسان العرب، (٣/ ٦٤)، (١١/ ١٨٦)، المعجم الوسيط (٢/ ٧٣٩).

(٩) طيقان: جمع طاق، فارسي معرب وهو الفراغ الذي يقع فيما بين كل حديدتين من الشباك.

(١٠) القَصة: بفتح القاف وتشديد الصاد الجص، وقيل الحجارة من الجص، والجص من مواد البناء، لسان العرب (١١/ ١٩٢)، ويسمى موضع قرب المدينة بذي الجصة، لأنه قد كان به قصة أي جص.

(١١) أخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ص(٩٦-٩٨)، تحقيق النصرة، ص(٤٧-٤٨)، عمدة الأخبار، ص(١٠٨-١٠٩)، وفاء الوفا، (٢/ ٥٠٤-٥٠٥)، المدينة المنورة تطورها العمراني ص(٦٥).

ما مصير الحجرات المجاورة؟

ثبت أن كلا الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما لم يوسعا المسجد من جهة الشرق، ولم يتعرضا للحجرات التي كانت في هذه الجهة، وقد يتساءل القارئ: وما مصير الحجرات التي كانت شمالي المسجد بعد أن وسِّع المسجد في هذه الجهة؟

أفاد السمهودي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ زاد في المسجد من جهة الشمال، لكنه ترك الحجرات في هذه الجهة قائمة على حالها وصار المسجد حواليها.

وعندما بني الوليد بن عبد الملك المسجد ووسعه أمر بهدم الحجرات التي كانت في الجهة الشرقية والشمالية وإدخالها في المسجد[١].

ونقل عن مالك رحمه الله أن الناس كانوا يدخلون حجر أزواج النبي ﷺ يصلون فيها يوم الجمعة بعد وفاته ﷺ، وكان المسجد يضيق عن أهله، قال: وحجر أزواج النبي ﷺ ليست من المسجد، ولكن أبوابها شارعة في المسجد[٢]، وإلى ذلك أشار الزركشي بقوله: (فلما توفي أزواجه ﷺ خلطت البيوت والحجرات بالمسجد في زمن عبد الملك بن مروان)[٣].

توسعة الوليد بن عبد الملك:

بدأت التوسعة في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك[٤] عندما أمر عامله على المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز رحمه الله[٥]، بعمارة المسجد وتوسعته، فبدأ البناء في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين (٨٨هـ/ ٧٠٧م) وانتهى سنة إحدى وتسعين للهجرة (٩١هـ/ ٧١٠م).

قال الطبري[٦]: وفيها - أي سنة ٨٨ - أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله ﷺ وهدم بيوت أزواج رسول الله ﷺ وإدخالها في المسجد، فذكر محمد بن عمر أن محمد بن جعفر بن وردان البناء قال: رأيت الرسول الذي بعثه الوليد بن عبد الملك قدم في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين، قدم معتجرًا. فقال الناس: ما قدم به الرسول؟

فدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد بأمره بإدخال حجر أزواج رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع، ويقول له: قدم القبلة إن قدرت، وأنت تقدر لمكان أخوالك فإنهم لا يخالفونك، فمن أبى منهم فمر أهل المصر فليقوموا له قيمة عدل ثم اهدم عليهم وادفع إليهم الأثمان؛ فإن لك في ذلك سلف صدق: عمر وعثمان.

فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده، فأجاب القوم إلى الثمن فأعطاهم إياه وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي ﷺ، وبناء المسجد فلم يمكث إلا يسيرًا حتى قدم الفعلة، بعث بهم الوليد. اهـ.

---

(١) وفاء الوفا، (٢/ ٤٩٤).
(٢) المصدر السابق، (٢/ ٥١٧).
(٣) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي، ص(٢٢٤).
(٤) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي، تولى الخلافة بعد أبيه سنة ٨٦هـ إلى أن توفي سنة ٩٦هـ وهو ابن ثمان وأربعين سنة، المعارف لابن قتيبة ص(٣٥٩).
(٥) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أمه أم عاصم بنت عاصم بنت عمر بن الخطاب، تولى إمارة المدينة في ربيع الأول سنة ٨٧هـ وهو ابن خمس وعشرين سنة وعزل سنة ٩٣هـ، ثم تولى الخلافة سنة ٩٩هـ، وتوفي سنة ١٠١هـ، ودفن في دير سمعان قرب الحلب، قال أنس ما رأيت أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى، كان فقيهًا محدثًا، المعارف ص(٣٦٢)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٧٥-٤٧٨).
(٦) ذكر ذلك الطبري في تاريخه (٦/ ٤٣٥)، ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية (في حوادث سنة ٨٨).

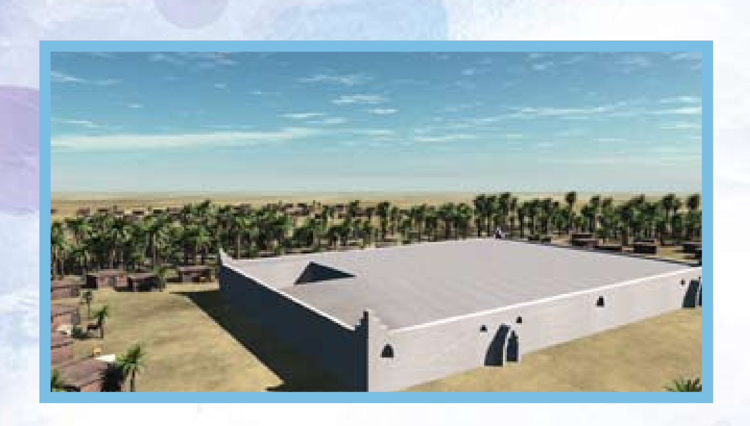
وقد أنكر عليه حينها أمره بهدم حجرات أزواج النبي ﷺ لتوسعة المسجد وإلحاق الحجرة النبوية به بعض من أهل العلم، ورأوا بأن الحجرات تبقى على حالها لتكون عبرة للمؤمنين في الزهد؛ فسقوفها مبنية من جريد النخل، وحيطانها من اللبن، ولكنه لم يكن بد من أن ينفذ عمر بن عبد العزيز أوامر الخليفة.

فكان ذلك سبب ضم الحجرة النبوية بالمسجد، والذي ذهب بعضهم - ظنًّا منهم- إلى أنه قد تم بناؤه بعد وفاة الرسول ﷺ على قبره بينما بناء المسجد سبق موته عليه الصلاة والسلام أول وصوله المدينة، وكان المسجد على عهد حياته ﷺ بعضه مسقوفًا وبعضه مكشوفًا، وكانت الشمس تنزل فيه، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها، لم يظهر الفيء بعد.



الحجرة النبوية بجانب المسجد قبل إدخالها

ولم تزل الحجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد في إمارته لما زاد الحجرة في مسجد الرسول ﷺ. وحينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد، ثم إنه بني حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدارًا عاليًا، وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك لأجل كنس أو تنظيف.



(١) المسجد بعد التوسعة



(٢) وضع الحجرة النبوية

كما أن قبر النبي ﷺ لم يكن له غطاء في يوم من الأيام ولا قبر صاحبيه، فهذه القبور الشريفة من عهد الصحابة رضوان الله عليهم أحيطت بجدار ثم أحيطت بجدار آخر وهي جُدُر مصمتة لا يمكن لأحد رؤيتها، ومعروف تاريخيًّا أنه لم يكن لها شواهد وليست مبنية كما يفعل في بعض القبور الحديثة، بل كانت لاطئة بالأرض وعليها حصباء كما يفعل الآن بالقبور في البقيع، وكما وردت بذلك الآثار الصحيحة عمن شاهدها قبل إحاطتها بالجدر كما تقدم.

ونقل الطبري في رواية الواقدي: أن ابتداء الهدم كان في صفر سنة (٨٨هـ). ونقل السمهودي عن خبر ابن زبالة: أن الهدم كان عام (٩١هـ)[١]، ثم حاول الجمع فقال بعد أن نقل أنه كان عام (٨٨هـ): (ولا ينافي هذا ما تقدم من أن عمر هدم المسجد في سنة إحدى وتسعين، لجواز أن تكون ولايته لذلك سنة ثمان وثمانين، واستمر في تحصيل الأهبة وشراء الأماكن، وتخمير النورة إلى سنة إحدى وتسعين)[٢].اهـ.

وجزم محمد إلياس أن البناء بدأ في ربيع الأول سنة (٨٨هـ)، وانتهى سنة (٩١هـ). وليس فيه النص على بناء الحجرة، والظاهر أن عمر بن عبد العزيز بنى الحائط الذي أحاط بالحجرة أثناء بناء المسجد[٣]، والله أعلم.

وأما الحجارة المستخدمة في البناء، فالذي ذكره السمهودي عن خبر ابن زبالة: أنه بناه بالحجارة المنقوشة المطابقة، وقَصَّة بطن نخل، وعمله بالفسيفساء[٤] والمرمر، وعمل سقفه بالساج وماء الذهب. وبطن نخل: موضع يسمى الآن بالحناكية كما نقل محقق وفاء الوفا للسمهودي عن ترجيح الشيخ حمد الجاسر.

وبنى حول الحجرة الشريفة جدارًا ثانيًا بارتفاع (٦ أمتار)، وكان ذا خمسة أضلاع بصورة شكّل معها في المؤخرة مثلثًا، وأمر به فرفع حتى لا يصلي إليه أحد إلا أنه لم يَصل به إلى سقف المسجد.

(١) وفاء الوفا السمهودي (٢/ ٢٦٩).
(٢) المصدر السابق، (٢/ ٢٧٣).
(٣) تاريخ المسجد النبوي، محمد بن إلياس، ص(٤٧).
(٤) الفسيفساء: قطع صغار ملونة من الرخام أو الحصباء أو الخرز أو نحوها يتألف بعضها إلى بعض وتركب في الحيطان من الداخل كأنه نقش مصور، والفسفس: البيت المصور بالفسيفساء. انظر المعجم الوسيط مادة (فسفس)، ولسان العرب، (١٠/ ٢٦٢).

قال السمهودي: (وقال أبو غسان ـ في ما حكاه الأقشهري ـ: أخبرني الثقة عن عبد الرحمن بن مهدي عن منصور عن عثمان بن عروة قال: نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ﷺ أن لا يجعل في المسجد أشد المنازلة فأبى وقال: كتاب أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه. قال: قلت: فإن كان لابد فاجعل له جؤجؤًا[٥]. وهو الموضع المزوَّر[٦] خلف الحجرة)[٧] اهـ.

وقال السمهودي: (.. وعمر بن عبد العزيز زوَّاه لئلا يتخذه الناس قبلة تخص فيه الصلاة من بين مسجد رسول الله ﷺ، وذلك أن رسول الله ﷺ قال: **(قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. وقال: اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد** ...) الحديث)[٨]اهـ.

(٥) قال الأزهري في تهذيب اللغة: «جؤجؤ: عظام صدر الطائر. والجؤجؤ: صدر السفينة. اهـ. وصدر السفينة مثلث الشكل كما هو معلوم.
(٦) المزور: أي المعوج صدره. انظر المعجم الوسيط مادة: (زَوَر).
(٧) وفاء الوفا (٢/ ٣٠٦).
(٨) وفاء الوفا (٢/ ٣٠٦).





(١) شكل الجدار



(٢)الحجرة بعد إضافة الجدارين

وقال الصالحي: (وروى عمر بن شبة عن أبي غسان قال: لم يزل بيت رسول الله ﷺ الذي دفن فيه ظاهرًا حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الخطار[١] المزور حين بنى المسجد في خلافة الوليد، وإنما جعله مزورًا؛ كراهية أن يشبه تربيعه تربيع القبلة، وأن يتخذ قبلة يصلى إليه)[٢]اهـ.

وذكر الحافظ[٣]: أن أبا بكر الآجري روى من طريق شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي قال: كان الناس يصلون إلى القبر فأمر به عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصلي إليه أحد ... وليس فيه تحديد قدر الارتفاع[٤]. ثم عمل على رأس الجدار فيما بعد شبَّاكًا من خشب الصندل والأبنوس[٥]، ولم يكن

---

(١) الخَطَّار: حظيرة الإبل، كما في القاموس المحيط مادة (خطر)، والمقصود البناء المحيط بالبيت مثل الحظيرة. أو هي: (الحِظار) وهو كل شيء حجز بين شيئين كحائط البستان والأرض المحَوطة كما في المعجم الوسيط مادة (حظر)، وانظر: وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٢٦).

(٢) سبل الهدى والرشاد (١٢/ ٣٤٥).

(٣) فتح الباري (٣/ ٢٥٧).

(٤) انظر: وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٣١).

(٥) المصدر السابق (٢/ ٣٣١) وقد رجح أن أول من صنع هذا الشباك هو الجمال الأصفهاني المتوفى عام (٥٥٩هـ).

للجدار باب ولا موضع باب[١]، ومازال هذا الجدار على بنائه القديم إلى يومنا هذا[٢].

وكان عمر بن عبد العزيز يشرف على جميع مراحل البناء، وزاد من جهة المغرب أسطوانتين، وذلك نحو عشرين ذراعًا [أي عشرة أمتار]، وعليه استقر أمر الزيادة في المغرب.

وأدخل حجرات أمهات المؤمنين في المسجد، وزاد من جهة المشرق ثلاث أساطين وذلك نحو ثلاثين ذراعًا [أي خمسة عشر مترًا]، وزاد فيه من جهة الشمال، وكان بناؤه من الحجارة المنقوشة، وسواريه من الحجارة المنقورة، وقد حشيت بعمد الحديد والرصاص.

وجعل للمسجد سقفين السقف العلوي والسفلي، أما السقف السفلي فكان من خشب الساج وارتفاعه خمسة وعشرين ذراعًا، وذلك نحو اثني عشر مترًا ونصف المتر.

وقام في هذه التوسعة ببناء المآذن الأربعة، والمحراب المجوف، وزخرفة جدران المسجد من داخله بالرخام والذهب والفسيفساء، وتذهيب السقف ورءوس الأساطين وأعتاب الأبواب، والتوسعة في الجانب الشرقي وبناء السقفين للمسجد، كما فتح عشرين بابًا للمسجد[٣].

حجرات أمهات المؤمنين عدا حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

عندما أمر الوليد بن عبد الملك بتوسعة وعمارة المسجد، عمد عمر بن عبد العزيز إلى شراء حجرات أمهات المؤمنين وغيرها من الدور المجاورة والمحيطة بالمسجد من أجل توسعته، وله في ذلك أسوة في كل من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما حيث إنهما اشتريا الدور المجاورة لتوسعة المسجد.

لماذا أدخلت الحجرات؟

ولعل القارئ هنا يتساءل: إن الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، لم يدخلا حجرات أمهات المؤمنين في المسجد عند التوسعة، فلماذا أدخلها الوليد عند توسعته للمسجد النبوي الشريف؟

السر في ذلك أن توسعة عمر للمسجد كانت سنة ١٧ للهجرة، وتوسعة عثمان كانت سنة ٣٠ للهجرة وفي هذه الفترة كانت أمهات المؤمنين تسكن في هذه البيوت، لكن عندما وسع الوليد بن عبد الملك سنة ثمان وثمانين للهجرة لم تكن واحدة منهن على قيد الحياة، إذ توفيت أم سلمة رضي الله عنها سنة تسع وخمسين أو إحدى وستين، وهي آخر من ماتت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعًا، وانتقلت هذه البيوت إلى من بعدهن.

ولما ضاق المسجد بأهله اقتضت المصلحة العامة إدخال هذه الحجرات في المسجد؛ فاشتراها عمر بن عبد العزيز من أصحابها، لتوسعة المسجد سنة ثمان وثمانين للهجرة.

وقد صرح بذلك ابن تيمية في الفتاوى قائلًا: (كتب الوليد إلى نائبه عمر بن عبد العزيز أن يشتري الحجر من ملاكها ورثة أزواج النبي ﷺ فإنهن كن قد توفين كلهن رضي الله عنهن، فأمره أن يشتري الحجر ويزيدها في المسجد، فهدمها وأدخلها في المسجد، وبقيت حجرة عائشة على حالها وكانت مغلقة)[٤].

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٣٠٧ -٣٢٦).

(٢) تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٧٣).

(٣) انظر: أخبار مدينة الرسول ﷺ، ص(٩٨-١٠٣)، تحقيق النصرة، ص(٤٩-٥١)، عمدة الأخبار ص(١٠٩)، وفاء الوفاء، (٢/ ٥١٩-٥٢٥)، المدينة المنورة تطورها العمراني ص(٦٦-٧١).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (٢٧/ ٣٢٣-٣٢٤).

بعد أن استعرضنا محل وفاة النبي ﷺ وأنه دُفن في بيته وهي حجرة عائشة رضي الله عنها وأن إدخال الحجرة النبوية في مسجده ﷺ إنما كان بأمر الوليد بن عبد الملك على غير مشهد من صحابة النبي ﷺ- أستعرض معك -أخي الكريم- حكم إدخال القبر للمسجد أو بناء مسجد على القبر؛ لنعلم هل يصح الاحتجاج بوجود قبر النبي ﷺ في مسجده على جواز الجمع بين قبر ومسجد؟

أولاً: أحاديث النهي عن البناء على القبور:

لقد نهي النبيُّ ﷺ عن بناء المساجد على القبور سدًّا للذريعة الموصلة إلى الشرك[١]، ونهيا عن التشبه بالمشركين[٢]، وأحاديث النبي ﷺ في هذا الأمر كثيرةٌ جدًا، منها:

(١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَتْ بَعْضُ نِسَائِه كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الحَبَشَة يُقَالُ لَهَا: مَارِيَةُ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَتَتَا أَرْضَ الحَبَشَة، فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ مِنْهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**»[٣].

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٣٤٩).

(٢) انظر منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٣٩)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤/ ٣١٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٧، ١٣٤١، ٣٨٧٣)، ومسلم (٥٢٨).

ففي هذا الحديث بيانُ أنَّ مَن بنى مسجدًا على قبر كان من شرار الخلق وفعله ليس بمرضيٍّ إذ وصفه بذلك، فيحرُم جعل قبرِه ﷺ مسجدًا بعد نهيه.

قال ابنُ رجب الحنبلي: (هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين، وتصوير صورهم فيها كما يفعله النصارى، ولا ريب أن كلَّ واحد منهما محرم على انفراد، فتصوير صور الآدميين محرم، وبناء القبور على المساجد بانفراده محرم كما دلت عليه النصوص)[٤].

وقد وصف النبيُّ ﷺ مَن يتخذون القبور مساجدَ بهذا الوصف (شرار الخلق) في حديثه الآخر:

(٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه، قالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَاسِ، مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ القُبُوْرَ مَسَاجِدَ**»[٥].

وفي رواية عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَامِر بْنِ الجرّاح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الحِجَازِ، وَأَهْلِ**

(٤) فتح الباري لابن رجب (٣/ ٢٠٢، ٢٠٣)، ط مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية (١٤١٧هـ – ١٩٩٦م).

(٥) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المسْنَدِ» (٣٨٤٤)، وقال فيه الأرنؤوط: (إسناده حسن).

نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ شِرَارَ النَّاسِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[1].

قال الصنعاني: (ومعلومٌ أن مَن فعل شيئًا يكون به من شرار خلق الله أنه فعل محرمًا)[2].

(٣) وعَنْ جُنْدَب بْن عَبْد الله الْبَجَلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «... **أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[3].

وهذا فيه نهيٌ عن اتخاذ جميع القبور بما فيها قبرُه ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وصف ﷺ أن الذين كانوا قبلنا كانوا يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد وعقَّب هذا الوصف بالأمر بحرف الفاء، أن لا يتخذوا القبور مساجد، وقال إنه ﷺ ينهانا عن ذلك. ففيه دلالة على أن اتخاذ من قبلنا سبب لنهينا؛ إما مظهر للنهي، وإما موجب للنهي، وذلك يقتضي: أن أعمالهم دلالة وعلامة على أن الله ينهانا عنها، أو أنها علة مقتضية للنهي)[4].

---

(١) رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٦٩١)، وقال عنه الأرنؤوط: (إسناده صحيح).

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد مع حاشية الصنعاني (ج ٣، ص:٢٥٧-٢٥٨) ط المكتبة السلفية (١٤٠٩هـ).

(٣) صحيح مسلم: (٥٣٢).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٣٣٢)، ط دار عالم الكتب-بيروت (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، بتحقيق: ناصر عبد الكريم العقل.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ اتِّخَاذ قَبْرِه وَقَبْرِ غَيْرِه مَسْجِدًا خَوْفًا مِنَ الْمُبَالَغَة فِي تَعْظِيمِه وَالافْتِتَانِ بِه فَرُبَّمَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْكُفْرِ كَمَا جَرَى لِكَثِيرٍ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ[5].

(٤) وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فِي مَرَضِه الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، قَالَتْ: «فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ[6] أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»[7].

وفي هذا الحديث لعنٌ لمن اتخذ القبر مسجدًا ثم تُعقِّب عائشة رضي الله عنها أن هذه الخشية من اتخاذ القبور مساجد عند الأمم المتقدمة، هي ذاتها التي جعلت الصحابة لا يُبرزون قبره خوفًا أن يُتَّخَذَ مسجدًا ويُفضيَ ذلك للشرك بالله تعالى.

وَاتِّخَاذُ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ «يَتَنَاوَلُ شَيْئَيْنِ: أَنْ يَبْنِيَ عَلَيْهَا مَسْجِدًا أَوْ يُصَلِّيَ عِنْدَهَا مِنْ غَيْرِ بِنَاءٍ وَهُوَ الَّذِي خَافَهُ هُوَ وَخَافَتْهُ الصَّحَابَةُ إذَا دَفَنُوهُ بَارِزًا: خَافُوا أَنْ يُصَلَّى عِنْدَهُ فَيُتَّخَذَ قَبْرُهُ مَسْجِدًا»[8].

ومن فقه البخاري رحمه الله في صحيحه أنه عقد في كتاب الجنائز ترجمتين: الأولى: باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور. والثانية: باب بناء المسجد على القبور[9].

---

(٥) شرح النووي على مسلم (٥/ ١٣).

(٦) قال النووي في شرح مسلم (٥/ ١٢): «ضَبَطْنَاهُ خُشِيَ بِضَمِّ الْخَاءِ وَفَتْحِهَا وَهُمَا صَحِيحَانِ».

(٧) متفق عليه: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٥)، (١٣٣٠)، (١٣٩٠)، (٣٤٥٣)، (٤٤٤١)، (٥٨١٥)، وَمُسْلِمٌ (٥٣١).

(٨) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٦٠).

(٩) انظر صحيح البخاري (ص/ ٢١٢، ٢١٤).

وذلك لأن الاتخاذ أعم من البناء لأنه شامل للصورتين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينًا شمول الاتخاذ لكلا الصورتين: (ومن ذلك أي مما لا يجوز فعله عند القبور الصلاة عندها، وإن لم يبن هناك مسجد، فإن ذلك من اتخاذها مسجدًا، كما قالت عائشة رضي الله عنها: (ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن خشي أن يتخذ مسجدًا)، ولم تقصد عائشة رضي الله عنها مجرد بناء مسجد، فإن الصحابة ﷺ لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وإنما قصدت أنهم خشوا إن الناس يصلون عند قبره، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، وإن لم يكن هناك بناء، كما قال ﷺ: **(جعلت لي الأرض مسجدا، وطهورا)**[1].

واشتمل قول النبي ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، على أمور ثلاثة: لعن اليهود والنصارى، وبيان سبب هذا الدعاء باللعن، وبيانٌ غرض ذلك، وهو تحذير أمته ﷺ من الوقوع فيما وقعوا فيه فيستحقوا اللعن.

قال الحافظ ابنُ حَجَر العسقلاني: (وَكَأَنَّهُ ﷺ عَلِمَ أَنَّهُ مُرْتَحِلٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَض فَخَافَ أَنْ يُعَظَّمَ قَبْرُهُ كَمَا فَعَلَ مَنْ مَضَى؛ فَلَعَنَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى إِشَارَةً إِلَى ذَمِّ مَنْ يَفْعَلُ فِعْلَهُمْ)[2].

(٥) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[3].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٧٧).
(٢) فتح الباري (١/ ٥٣٢).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠).

قال الحافظ العراقي: «فلو بنى مسجدًا بقصد أن يُدفن في بعضه دخل في اللعنة بل يحرُم الدفن في المسجد، وإنْ شَرَط أن يدفن فيه لم يصحَّ الشرط لمخالفته لمقتضى وقفه مسجدا»[4].

وقَالَ الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَكْرَهُ أَنْ يُعَظَّمَ مَخْلُوقٌ حَتَّى يُجْعَلَ قَبْرُهُ مَسْجِدًا، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ بَعْدَهُ مِنَ النَّاسِ»[5].

(٦) وعَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا**»[6].

ففي هذا الحديث نهيٌ عن الصلاة إلى القبر؛ فلا يكون القبر بين المصلي والقبلة. قال النووي: «فيه تصريح بالنهى عن الصلاة إلى القبر»[7]. وقال ابن حجر: «وذلك يتناول الصلاة على القبر أو إليه أو بين قبرين»[8].

(٧) ومن دعاء النبي ﷺ: «**اللهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا**[9] **يُعْبَدُ. اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[10].

---

(٤) فيض القدير (٥/ ٢٧٤)، ط المكتبة التجارية الكبرى – مصر، (الأولى، ١٣٥٦هـ).
(٥) شرح النووي على مسلم (٧/ ٣٨).
(٦) رواه مسلم (٩٧٢)، والترمذي (١٠٥٠، ١٠٥١)، والنسائي (٢/ ٦٧/ رقم ٧٦٠).
(٧) شرح النووي على مسلم (٧/ ٣٨).
(٨) فيض القدير للمناوي (٦/ ٣٩٠).
(٩) الْوَثَنُ: الصَّنَمُ وَهُوَ الصُّورَةُ مِنْ ذَهَبٍ كَانَ أَوْ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التِّمْثَالِ وَكُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فَهُوَ وَثَنٌ صَنَمًا كَانَ أَوْ غَيْرَ صَنَمٍ (قاله ابن عبد البر في «التمهيد» ٥/ ٤٥)
(١٠) رواه أحمد في المسند (٧٣٥٨)، عن أبي هريرة، وقال شعيب الأرنؤوط فيه: إسناده قوي، وكذا رواه أبو يعلى في مسنده (٦٦٨١)، وقال حسين

قال ابن عبد البر في شرحه على هذا الحديث: «كَانَت الْعَرَبُ تُصَلِّي إِلَى الْأَصْنَام وَتَعْبُدُهَا فَخَشِي رَسُولُ الله ﷺ عَلَى أُمَّته أَنْ تَصْنَعَ كَمَا صَنَعَ بَعْضُ مَنْ مَضَى مِنَ الأُمَم كَانُوا إِذَا مَاتَ لَهُمْ نَبِيٌّ عَكَفُوا حَوْلَ قَبْرِه كَمَا يُصْنَعُ بالصَّنَم فَقَالَ ﷺ اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُصَلَّى إِلَيْه وَيُسْجَدُ نَحْوَهُ وَيُعْبَدُ فَقَد اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحَذِّرُ أَصْحَابَهُ وَسَائِرَ أُمَّته مِنْ سُوءِ صَنِيعِ الأُمَم قَبْلَهُ الَّذِينَ صَلَّوْا إِلَى قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ وَاتَّخَذُوهَا قِبْلَةً وَمَسْجِدًا كَمَا صَنَعَت الْوَثَنِيَّةُ بِالأَوْثَان الَّتِي كَانُوا يَسْجُدُونَ إِلَيْهَا وَيُعَظِّمُونَهَا وَذَلِكَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُهُمْ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ سُخْطِ اللهِ وَغَضَبِهِ وَأَنَّهُ مِمَّا لَا يَرْضَاهُ خَشْيَةً عَلَيْهِمُ امْتِثَالَ طُرُقِهِمْ "[1].

وقال الملا علي قاري في قوله ﷺ: «**اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»، «أَيْ: لَا تَجْعَلْ قَبْرِي مِثْلَ الْوَثَن فِي تَعْظِيم النَّاسِ، وَعَوْدِهِمْ لِلزِّيَارَة بَعْدَ بَدْئِهِمْ، وَاسْتِقْبَالِهِمْ نَحْوَهُ فِي السُّجُودِ، كَمَا نَسْمَعُ وَنُشَاهِدُ الآنَ فِي بَعْضِ الْمَزَارَاتِ وَالْمَشَاهِدِ»[2].

وقوله ﷺ: (اشْتَدَّ): اسْتِئْنَافٌ كَأَنَّهُ قِيلَ: لِمَ تَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ؟ فَأَجَابَ بِقَوْلِه: (**اشْتَدَّ غَضَبُ الله**): تَرَحُّمًا عَلَى أُمَّته وَتَعَطُّفًا لَهُمْ، قَالَ الطِّيبِيُّ، وَتَبِعَهُ ابْنُ حَجَرٍ، وَالأَظْهَرُ أَنَّهُ إِخْبَارٌ عَمَّا وَقَعَ فِي الْأُمَم السَّالِفَة تَحْذِيرًا لِلْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَهُمْ، فَيَشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهِمْ»[3].

وقد عدَّ ابنُ حجر المكي الهيتمي من الكبائر: اتِّخَاذ الْقُبُور مَسَاجِدَ، وَإِيقَاد السُّرُج عَلَيْهَا، وَاتِّخاذهَا أَوْثَانًا، وَالطَّوَاف بِهَا، وَاسْتِلَامهَا، وَالصَّلَاة إِلَيْهَا، ثم ساق جملة من الأحاديث الدالة على وجه اعتبارها من الكبائر، إلى أن قال: «وَأَمَّا اتِّخَاذهَا أَوْثَانًا فَجَاءَ النَّهْيُ عَنْهُ بِقَوْله ﷺ: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ بَعْدِي**» أَيْ لَا تُعَظِّمُوهُ تَعْظِيمَ غَيْرِكُمْ لِأَوْثَانِهِمْ بِالسُّجُود لَهُ أَوْ نَحْوِه، فَإِنْ أَرَادَ ذَلِكَ الْإِمَامُ بِقَوْله: «**وَاتِّخَاذُهَا أَوْثَانًا**» هَذَا الْمَعْنَى اُتُّجِهَ مَا قَالَهُ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ كَبِيرَةٌ بَلْ كُفْرٌ بِشَرْطِه، وَإِنْ أَرَادَ أَنَّ مُطْلَقَ التَّعْظِيم الَّذِي لَمْ يُؤْذَنْ فِيه كَبِيرَةٌ فَفِيه بُعْدٌ، نَعَمْ قَالَ بَعْضُ الْحَنَابِلَة: قَصْدُ الرَّجُل الصَّلَاةَ عِنْدَ الْقَبْرِ مُتَبَرِّكًا بِهَا عَيْنُ الْمُحَادَّة لله وَرَسُوله، وَإِبْدَاعُ دِينٍ لَمْ يَأْذَنْ بِه اللهُ لِلنَّهْيِ عَنْهَا ثُمَّ إِجْمَاعًا، فَإِنَّ أَعْظَمَ الْمُحَرَّمَات وَأَسْبَاب الشِّرْكِ الصَّلَاةُ عِنْدَهَا وَاتِّخَاذُهَا مَسَاجِدَ أَوْ بِنَاؤُهَا عَلَيْهَا»[4].

فهذه الأحاديث الشريفة بمجموعها تدل على تحريم الجمع بين مسجد وقبر في الإسلام، وأن مَن فعل ذلك فهو من شرار الخلق مستحِقٌّ للعنة متبعٌ لحال اليهود والنصارى، فاعلٌ لما نهى عنه وحذَّر منه ﷺ، متعرض لغضب الله.

أسد: (إسناده صحيح)، وله شاهد مرسل في الموطأ (٨٥/ ط عبد الباقي) عن عطاء بن يسار مرفوعا، وسنده صحيح، وقد وصله البزار عنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه ابن عبد البر مرسلًا وموصولًا.

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٥/ ٤٥).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٦٢٨).

(٣) السابق نفسه.

(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢٤٦).

قال الحافظ ابن حزم[1] رحمه الله بعد أن ذكر جملة من الأحاديث في المسألة: (فهذه آثار متواترة توجب ما ذكرنا حرفًا حرفًا، ولا يسع أحد تركها، وبه يقول طوائف من السلف رضوان الله عليهم)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك، والتغليظ فيه)[3].

وقال الحافظ ابن عبد الهادي[4]: (ومعنى هذه الأحاديث متواتر عنه ﷺ بأبي وأمي وكذلك عن صحابته)[5].

قال العلامة الشوكاني: (ثم هذا رسول الله ﷺ سيد البشر وخير الخليقة، وخاتم الرسل، وصفوة الله من خلقه، ينهى أمته أن يجعل قبره مسجدًا، أو وثنًا، أو عيدًا وهو القدوة لأمته، ولأهل الفضل من القدوة به، والتأسي بأفعاله، وأقواله، الحظ الأوفر، وهم أحق الأمة بذلك، وأولاهم به، وكيف يكون فعل بعض الأمة وصلاحه مسوغًا لفعل هذا المنكر على قبره؟[6] وأصل الفضل ومرجعه هو رسول الله ﷺ، وأي فضل ينسب إلى فضله أدنى نسبة، أو يكون له بجنبه أقل اعتبار؟

فإن كان هذا محرمًا منهيًّا عنه ملعون فاعله في قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما ظنك بقبر غيره؟! وكيف يستقيم أن يكون للفضل مدخل في تحليل المحرمات، وفعل المنكرات ؟ اللهم اغفر والحمد لله على ذلك)[7] ا.هـ.

وفعلُ الوليد بن عبد الملك – عفا الله عنه – بشأن إدخال حُجرة عائشة التي دُفن فيها النبي ﷺ إلى المسجد النبوي، منهي عنه مذموم يلحقه النهي الشرعي من نبينا ﷺ، ولا خصوصية في هذا، واتباعُ قول النبي ﷺ أولى من فعل الوليد – عفا الله عنه –.

ثانيًا: احتياط الصحابة رضي الله عنهم:

التزم الصحابةُ –رضوان الله عليهم– ما أرشدهم إليه النبيُّ ﷺ من عدم اتخاذ القبور مساجدَ، ووقفوا عند تحذيره الذي أشارت إليه عائشة رضي اللهَ عنها آنفًا، ولا أدلّ على ذلك من قول أَنَسِ بْنِ مَالك رضي الله عنه: "رَآنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: وَأَنَا أُصَلِّي عِنْدَ قَبْرٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «الْقَبْرَ» قَالَ: – فَحَسِبْتُهُ يَقُولُ: الْقَمَرَ – قَالَ: فَجَعَلْتُ أَرْفَعُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَأَنْظُرُ فَقَالَ: «إِنَّمَا أَقُولُ: الْقَبْرَ لَا تُصَلِّ إِلَيْهِ»[8].

---

(1) هو الحافظ الكبير، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، صاحب التصانيف الفائقة، وهو من المتكلمين له أراء شذ بها وخالف ما عليه أهل العلم، من مصنفاته: المحلى، والفصل في الملل والنحل والأهواء، توفي سنة ٤٥٦ هـ انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤)، والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأخر والأول (ص٧٨).

(2) المحلى (٢/ ٣٤٨).

(3) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٧٢).

(4) هو الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالهادي، توفي سنة (٧٤٤ هـ)، له من التصانيف: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، والصارم المنكي والمحرر في الحديث وغيرها، قال فيه الصفدي: لو عاش لكان آية، توفي سنة ٧٤٤ هـ انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٥٠٨)، وطبقات الحفاظ (ص/ ٥٢٠)، والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأخر والأول (ص٤١٨).

(5) الصارم المنكي (ص/ ١٨٦).

(6) أي: تشيد القبور ورفعها وبناء القباب عليها.

(7) شرح الصدور في تحريم رفع القبور (/ ٣٩)

(8) علّقه البخاري في صحيحه (١/ ٩٣)، ووصله عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (١٥٨١)، بتحقيق الأعظمي. وقال الألباني في «تحذير

قَالَ ثَابِتٌ: فَكَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَأْخُذُ بِيَدِي إِذَا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ فَيَتَنَحَّى عَنِ الْقُبُورِ.

وفي رواية، قال أنس: «قُمْتُ يَوْمًا أُصَلِّي وَبَيْنَ يَدَيَّ قَبْرٌ لَا أَشْعُرُ بِهِ فَنَادَانِي عُمَرُ: الْقَبْرَ الْقَبْرَ...»[1]. وفيها إشارة إلى أن أنسًا ﷺ إنما صلى إلى هذا القبر المشار إليه دون أن يعلم بوجود هذا القبر بين يديه في صلاته.

قال ابن القيم: "وهذا يدل على أنه كان من المستقرِّ عند الصحابة ﷺ ما نهاهم عنه نبيهم من الصلاة عند القبور. وفعلُ أنس ﷺ لا يدل على اعتقاده جوازه، فإنه لعله لم يره، أو لم يعلم أنه قبر، أو ذهل عنه. فلما نبهه عمر رضى الله تعالى عنه تنبه"[2].

عن علي بن أبي طالب ﷺ: (من شرار الناس من يتخذ القبور مساجد)[3].

وقال أبو هريرة ﷺ: (قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[4].

وكان احتياط الصحابة رضوان الله عليهم مع قبر النبي ﷺ على هذه الحال أو أشد، ودليل هذا أنهم لم يبرزوا قبره ﷺ، حتى لا يُتَّخذَ مسجدًا يقصده الناس للصلاة، أو وثنًا يعبد؛ وتلك إجابة دعوته ﷺ: «**اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»؛ «فَلَمْ يُتَّخَذْ وَللهِ الْحَمْدُ وَثَنًا كَمَا اتُّخِذَ قَبْرُ غَيْرِهِ بَلْ وَلَا يَتَمَكَّنُ أَحَدٌ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى حُجْرَتِهِ بَعْدَ أَنْ بُنِيَتْ الْحُجْرَةُ.

وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا كَانُوا يُمَكِّنُونَ أَحَدًا مِنْ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهِ لِيَدْعُوَ عِنْدَهُ وَلَا يُصَلِّيَ عِنْدَهُ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُفْعَلُ عِنْدَ قَبْرِ غَيْرِهِ. لَكِنْ مِنْ الْجُهَّالِ مَنْ يُصَلِّي إِلَى حُجْرَتِهِ أَوْ يَرْفَعُ صَوْتَهُ أَوْ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ مَنْهِيٍّ عَنْهُ وَهَذَا إِنَّمَا يُفْعَلُ خَارِجًا عِنْدَ حُجْرَتِهِ لَا عِنْدَ قَبْرِهِ. وَإِلَّا فَهُوَ وَللهِ الْحَمْدُ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ فَلَمْ يُمَكِّنْ أَحَدٌ قَطُّ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى قَبْرِهِ فَيُصَلِّيَ عِنْدَهُ أَوْ يَدْعُوَ أَوْ يُشْرِكَ بِهِ كَمَا فُعِلَ بِغَيْرِهِ اتُّخِذَ قَبْرُهُ وَثَنًا فَإِنَّهُ فِي حَيَاةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَا كَانَ أَحَدٌ يَدْخُلُ إِلَّا لِأَجْلِهَا وَلَمْ تَكُنْ تُمَكِّنُ أَحَدًا أَنْ يَفْعَلَ عِنْدَ قَبْرِهِ شَيْئًا مِمَّا نَهَى عَنْهُ»[5].

وكان قبر النبي ﷺ، وكذا قبرا صاحبيْه، كسائر قبور المسلمين لا يميزها عنها شيءٌ، وليس عليها آثار تعظيم أو تقديس. وشاهد ذلك ما ورد عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا أُمَّاهُ، اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، فَكَشَفَتْ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ لَا مُشْرِفَةٍ، وَلَا لَاطِئَةٍ مَبْطُوحَةٍ بِبَطْحَاءِ الْعَرْصَةِ الْحَمْرَاءِ، «فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُقَدَّمًا، وَأَبَا بَكْرٍ رَأْسُهُ بَيْنَ كَتِفَيِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعُمَرُ رَأْسُهُ عِنْدَ رِجْلَيِ النَّبِيِّ ﷺ»[6].

الساجد»: (إسناده صحيح).

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٤٢٧٧)، ط محمد عبد القادر عطا.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١٨٦).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١/ ٤٠٥)، وابن المنذر في الأوسط (٢/ ١٨٢) وذكره ابن حزم في المحلى (٢/ ٣٤٩).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١/ ٤٠٦).

(٥) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ٣٢٨)، و«الجواب الباهر في زوار المقابر» لشيخ الإسلام، ص(١٣)، تحقيق: الصنيع والمعلمي، ط الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م).

(٦) أخرجه أبو داود (٣٢٢٠)، والحاكم (١/ ٣٦٩- ٣٧٠) كلاهما من طريق القاسم بن محمد عن عائشة. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الشيخ عبد القادر الأرنؤوط في

وكذلك ما ورد عَنْ غُنَيْم بْن بِسْطَام الْمَدِينِيِّ، قَالَ: «رَأَيْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ في إِمَارَة عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيز فَرَأَيْتُهُ مُرْتَفِعًا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ أَصَابِعَ وَرَأَيْتُ قَبْرَ أَبِي بَكْر وَرَاءَ قَبْر النَّبِيِّ ﷺ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَرَأَيْتُ قَبْرَ عُمَرَ وَرَاءَ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ أَسْفَلَ مِنْهُ"[١].

ويكشف موقف القاسم بن محمد عن أن قبر النبيِّ ﷺ كان في غاية الصيانة عن وصول الناس إليه، وأنه لم يكن يصل إليه أحدٌ من الناس إلا بعد استئذان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولو كان من المقرَّبين لها، وعائشة هي عمة القاسم بن محمد كما هو معروف، بل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو مَن هو مكانةً في الإسلام، وكانَ خليفة المسلمين يوم مات، لم يُدفن مع صاحبيه إلا بإذنها رضي الله عنها، وقصة ذلك مشهورة، كما في صحيح البخاري[٢] وغيره.

تخريج جامع الأصول (١١/ ٨٢): (إسناده حسن). وقوله: «لا مشرفة» أي: لا مرتفعة عالية. و»لا لاطئة» أي: لا ملتصقة بالأرض، وقوله: «مبطوحة» أي: مُسواة «ببطحاء العرصة الحمراء» وهو الحصى الصغار، وبطحاء الوادي وأبطحه: حصاه اللين في بطن المسيل، «والعرصة»: كل موضع واسع لا بناء فيه (من شرح بدر الدين العيني على سنن أبي داود ٦/ ١٧٧).

(١) قال الحافظ في الفتح (٣/ ٢٥٧): رواه أَبُو بَكْر الْآجُرِّيُّ في كِتَاب صفَة قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ طريق إِسْحَاق بن عِيسَى بن بِنْت دَاوُدَ بْنَ أَبِي هَنْد عَنْ غُنَيْم فَذكره. ووجَدتَه في كتاب (الشريعة) للآجري (٥/ ٢٣٩١)، رقمَ (١٨٧٣) من ط د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي.

(٢) كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ قِصَّة الْبَيْعَة، وَالاتِّفَاق عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَفِيهِ مَقْتَلُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رقم (٣٧٠٠).

وجملة القول أنه «في حَيَاة عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - كَانَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهَا لِسَماعِ الْحَدِيث ولاستفتائها وَزِيَارَتِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ إِذَا دَخَلَ أَحَدٌ يَذْهَبُ إِلَى الْقَبْرِ الْمُكَرَّمِ لَا لِصَلَاة وَلَا لِدُعَاء وَلَا غَيْر ذَلِك - بَلْ رُبَّمَا طَلَبَ بَعْضُ النَّاسِ مِنْهَا أَنْ تُرِيَهُ الْقُبُورَ فَتُرِيَهُ إِيَّاهُنَّ»[٣]، كما وقع ذلك مع القاسم بن محمد فيما مرَّ بنا قريبًا.

وَكَانَ السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ إذا سَلمُوْا عَلى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَرَادُوْا الدُّعَاءَ: دَعَوْا مُسْتَقبلِي القِبْلَة، وَلَمْ يَسْتَقبلوْا القبْر. وَأَمّا الوُقوْفُ للسَّلام عَليْه صَلوَاتُ الله عَليْه وَسَلامُهُ: فقالَ أَبُو حَنيْفَةَ: «يَسْتَقبلُ القبْلَةَ أيضًا، وَلا يَسْتَقبلُ القبرَ». وَقالَ أَكثرُ الأئمَّة: «بَلْ يَسْتَقبلُ القبْرَ عِنْدَ السَّلام خَاصَّة». وَلَمْ يَقلْ أَحَدٌ مِنَ الأَئمَّة: «إنهُ يَسْتَقبلُ القبْرَ عَنْدَ الدُّعَاءَ». وَليْسَ في ذلك إلاَّ حكايَةٌ مَكذُوبَةٌ، ترْوَى عَنْ مَالك، وَمَذْهَبُهُ بخلافهَا. وَاتفقَ الأَئمَّةُ على أنهُ لا يَتَمَسَّحُ بِقبْر النَّبِيِّ ﷺ، وَلا يُقبله. وَهَذا كلهُ مُحَافظةٌ عَلى التَّوْحِيْدِ، فإنَّ مِنْ أُصُوْلِ الشِّرْك بالله: اتخاذَ القبوْر مَسَاجِدَ[٤].

وبعد وفاة أم المؤمنين عائشة كانت الحجرةُ مُغْلَقَةً إِلَى أَنْ أُدْخِلَتْ فِي الْمَسْجِدِ فَسُدَّ بَابُهَا وَبُنِيَ عَلَيْهَا حَائِطٌ آخَرُ[٥].

وقد قدمتُ حرصَ الصحابة -رضوان الله عليهم- على توسعة المسجد النبوي، كما هو في توسعة عمر وعثمان – رضي

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٧/ ٣٢٤)، و«الجواب الباهر»، مصدر سابق، ص ١٠.

(٤) مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور لعبد العزيز بن فيصل الراجحي (ص: ٩٣)، ط مكتبة الرشد (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٢٨).

الله عنهما – وقول عمر عن حجر أمهات المؤمنين: «إنه لا سبيل إليها»[١]. وذلك أيضًا من احتياط الصحابة رضوان الله عليهم في سد كل الطرق والذرائع التي قد تجر الناس إلى اتخاذ قبره ﷺ مسجدًا يُصلون إليه أو وثنًا يُعبد من دون الله.

يقول ابن عبد الهادي: "ومعلومٌ أنه لو اتُّخذ قبرُه عيدًا ومسجدًا ووثنًا صار الناس يدعونه ويتضرعون إليه ويسألونه ويتوكلون عليه ويستغيثون ويستجيرون به، وربما سجدوا له وطافوا به وصاروا يحجُّون إليه، وهذه كلها من حقوق الله وحده الذي لا يشركه فيها مخلوق"[٢].

ثالثًا: نكيرُ العلماء على من أدخل الحجرة للمسجد:

دُفن النبي ﷺ – كما هو متواتر معروف – في حُجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكانت حُجرتها خارجة عن المسجد، وكان الفاصل بين قبره ﷺ وبين المسجد جدار الحجرة، وظل الأمر على هذه الحال إلى سنة ثمانٍ وثمانين من الهجرة، حين أمر الوليد بن عبد الملك بتوسعة المسجد النبوي وإدخال حُجر أمهات المؤمنين فيه.



قال ابن كثير في (البداية والنهاية)[٣] في أحداث سنة ثمانٍ وثمانين: «فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ كِتَابُ الْوَلِيدِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالْمَدِينَةِ، يَأْمُرُهُ بِهَدْمِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَإِضَافَةِ حُجَرِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِ، وَأَنْ يُوَسِّعَهُ مِنْ قِبْلَتِهِ وَسَائِرِ نَوَاحِيهِ، حَتَّى يَكُونَ مِائَتَيْ ذِرَاعٍ فِي مِائَتَيْ ذِرَاعٍ، فَمَنْ بَاعَكَ مِلْكَهُ فَاشْتَرِ مِنْهُ، وَإِلَّا فَقَوِّمْهُ لَهُ قِيمَةَ عَدْلٍ، ثُمَّ اهْدِمْ، وَادْفَعْ إِلَيْهِمْ أَثْمَانَ بُيُوتِهِمْ، فَإِنَّ لَكَ فِي ذَلِكَ سَلَفَ صِدْقٍ؛ عُمَرَ وَعُثْمَانَ".

لكن ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن حجرة عائشة ظلت خارجة عن المسجد إلى سنة إحدى وتسعين، فقال: "... ثُمَّ فِي إِمَارَةِ الْوَلِيدِ أَمَرَ نَائِبَهُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْ يَشْتَرِيَ الْحُجَرَ وَيَزِيدَهَا فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَتْ حُجْرَةُ عَائِشَةَ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ حِينَئِذٍ، وَإِنَّمَا كَانَتْ فِي حَيَاتِهِ خَارِجَةً عَنِ الْمَسْجِدِ إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ"[٤].

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد، ط دار الكتب العلمية بيروت (٤/ ١٥)، و تاريخ دمشق لابن عساكر، ط دار الفكر (٢٦/ ٣٧٠) و وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسمهودي، ط دار الكتب العلمية (٢/ ٦٨).

(٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص ١١٨)، ط دار الكتب العلمية-بيروت (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

(٣) طبعة دار هجر (١٢/ ٤١٣)، بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٦/ ٣٦٨)، دار العاصمة-السعودية (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

ووقع هذا الأمر حين وقع ولم يكن بالمدينة أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ الذين فهموا الأحاديث الناهية عن الصلاة على القبور وإليها وعن اتخاذ القبور مساجد حقَّ الفهم، واحتاطوا لذلك الأمر مع قبره الشريف أشد الاحتياط. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَلَكِنْ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ وُسِّعَ الْمَسْجِدُ... فَأَمَرَ نَائِبُهُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْ يَشْتَرِيَ الْحُجَرَ مِنْ أَصْحَابِهَا الَّذِينَ وَرِثُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَزِيدَهَا فِي الْمَسْجِد. فَمِنْ حِينَئِذٍ دَخَلَتْ الْحُجَرُ فِي الْمَسْجِدِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ الصَّحَابَةِ: بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَبَعْدَ مَوْتِ عَائِشَةَ؛ بَلْ بَعْدَ مَوْتِ عَامَّةِ الصَّحَابَةِ وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ كَرِهَ ذَلِكَ. وَقَدْ كَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مَا فَعَلَهُ عُثْمَانُ رضي الله عنه مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ بِالْحِجَارَةِ وَالْقَصَّةِ وَالسَّاجِ وَهَؤُلَاءِ لِمَا فَعَلَهُ الْوَلِيدُ أَكْرَهُ"[1].

ويقول ابن عبد الهادي الحنبلي: «وكان على عهد الخلفاء الراشدين والصحابة حجرته خارجة عن المسجد، ولم يكن بينهم وبينه إلا الجدار. ثم إنه إنما أدخلت الحجرة في المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة، وكان من آخرهم موتًا جابر بن عبد الله وتوفي في خلافة عبد الملك، فإنه توفي سنة ثمان وسبعين، والوليد تولي سنة ست وثمانين وتُوفِّي سنة ستٍّ وتسعين فكان بناء المسجد وإدخال الحجرة فيه فيما بين ذلك»[2].

ولم يكن فعل الوليد بن عبد الملك حين أمر بإدخال قبر النبي ﷺ مرضيًّا ولا مقبولًا ممن كان شاهدًا من التابعين. فقد أنكر ذلك أحدُ سادة التابعين وهو سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّب، كما نقل ذلك ابن كثير، قال: «وَيُحْكَى أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ أَنْكَرَ إِدْخَالَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فِي الْمَسْجِدِ - كَأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ الْقَبْرُ مَسْجِدًا -»[3].

وأصرحُ من ذلك ما نقله السمهودي عن عروة بن الزبير أنه قال: «نازلتُ عمرَ بن عبد العزيز في قبر النبي ألا يُجعل في المسجد أشدَّ المنازلة فأبى وقال: كتابُ أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه، قال فقلت: فإن كان ولابد فاجعلوا له حوجوًا»، قال السمهودي: «وهو الموضع المزور خلف الحجرة»[4].

وكذا أجمع فقهاء المدينة العشرة على عدم الرضا بما أمر به الوليد بن عبد الملك بشأن إدخال حجر أزواج النبي ﷺ في المسجد، لكن الوليد – عفا الله عنه – تشبث برأيه، ولم ينزل على قول فقهاء المدينة حين راجعه عمر بن عبد العزيز وخاطبه بما أجمعوا عليه. والقصة بطولها أوردها ابن كثير في تاريخه، قال:

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤١٨).

(٢) الصارم المنكي، مصدر سابق، ص ١٣٧. وقال الشيخ الألباني في «تحذير الساجد» (ص ٨٠/ هامشة ١): «وإنما لم يسم الحافظ ابن عبد الهادي السنة التي وقع فيها ذلك لأنها لم ترد في رواية ثابتة على طريقة المحدثين... وإنما العمدة على اتفاق المؤرخين على أن إدخال الحجرة إلى المسجد كان في ولاية الوليد وهذا القدر كاف في إثبات أن ذلك كان بعد موت الصحابة الذين كانوا في المدينة حسبما بينه الحافظ».

(٣) البداية والنهاية ط دار هجر (١٢/ ٤١٥)، بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. وقال الشيخ الألباني في تحذير الساجد (هامش ص: ٨٢): (وأنا لا يهمني كثيرًا صحة هذه الرواية أو عدم صحتها لأننا لا نبني عليها حكمًا شرعيًّا لكن الظن بسعيد بن المسيب وغيره من العلماء الذين أدركوا ذلك التغيير أنهم أنكروا ذلك أشد الإنكار لمنافاته تلك الأحاديث المتقدمة منافاة بينة وخاصة منها رواية عائشة التي تقول: «فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا»).

(٤) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٢/ ١١٤)، ط دار الكتب العلمية – بيروت (١٤١٩هـ).

«فَجَمَعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وُجُوهَ النَّاسِ، وَالْفُقَهَاءَ الْعَشَرَةَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ الْوَلِيدِ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَقَالُوا: هَذِهِ حُجَرٌ قَصِيرَةُ السُّقُوفِ، وَسُقُوفُهَا مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَحِيطَانُهَا مِنَ اللَّبِنِ، وَعَلَى أَبْوَابِهَا الْمُسُوحُ، وَتَرْكُهَا عَلَى حَالِهَا أَوْلَى; لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا الْحُجَّاجُ وَالزُّوَّارُ وَالْمُسَافِرُونَ، وَإِلَى بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ وَيَعْتَبِرُوا بِهِ، وَيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يُعَمِّرُونَ فِيهَا إِلَّا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَهُوَ مَا يَسْتُرُ وَيُكِنُّ، وَيَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا الْبُنْيَانَ الْعَالِيَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَفْعَالِ الْفَرَاعِنَةِ وَالْأَكَاسِرَةِ، وَكُلِّ طَوِيلِ الْأَمَلِ رَاغِبٍ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْخُلُودِ فِيهَا.

فَعِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْوَلِيدِ بِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ الْعَشَرَةُ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْخَرَابِ وَبِنَاءِ الْمَسْجِدِ عَلَى مَا ذَكَرَ، وَأَنْ يُعَلِّيَ سُقُوفَهُ، فَلَمْ يَجِدْ عُمَرُ بُدًّا مِنْ هَدْمِهَا، وَلَمَّا شَرَعُوا فِي الْهَدْمِ صَاحَ الْأَشْرَافُ وَوُجُوهُ النَّاسِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ، وَتَبَاكَوْا مِثْلَ يَوْمِ مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَجَابَ مَنْ لَهُ مِلْكٌ مُتَاخِمٌ لِلْمَسْجِدِ لِلْبَيْعِ فَاشْتَرَى مِنْهُمْ، وَشَرَعَ فِي بِنَائِهِ، وَشَمَّرَ عَنْ إِزَارِهِ، وَاجْتَهَدَ فِي ذَلِكَ، وَجَاءَتْهُ فُعُولٌ كَثِيرَةٌ مِنْ قِبَلِ الْوَلِيدِ، فَأَدْخَلَ فِيهِ الْحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ، حُجْرَةَ عَائِشَةَ، فَدَخَلَ الْقَبْرُ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَتْ حَدَّهُ مِنَ الشَّرْقِ، وَسَائِرُ حُجَرِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا أَمَرَ الْوَلِيدُ"[١].

وقد قطع أهل العلم بخطأ ما فعله الوليد بن عبد الملك؛ لأنه خالف الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ، ولأنه كان يسعه ما وسع عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما في توسعتهما للمسجد.

(١) البداية والنهاية، ط دار هجر (١٢/ ٤١٣، ٤١٤)، مصدر سابق.

يقول الشيخ الألباني: "يتبين لنا مما أوردناه أن القبر الشريف إنما أدخل إلى المسجد النبوي حين لم يكن في المدينة أحد من الصحابة، وأن ذلك كان على خلاف غرضهم الذي رموا إليه حين دفنوه في حجرته ﷺ؛ فلا يجوز لمسلم بعد أن عرف هذه الحقيقة أن يحتج بما وقع بعد الصحابة؛ لأنه مخالف للأحاديث الصحيحة وما فهم الصحابة والأئمة منها كما سبق بيانه، وهو مخالف أيضًا لصنيع عمر وعثمان حين وسعا المسجد ولم يُدخِلا القبر فيه.

ولهذا نقطع بخطأ ما فعله الوليد بن عبد الملك – عفا الله عنه – ولئن كان مضطرًّا إلى توسيع المسجد فإنه كان باستطاعته أن يوسعه من الجهات الأخرى دون أن يتعرض للحجرة الشريفة وقد أشار عمر بن الخطاب إلى هذا النوع من الخطأ حين قام هو ﷺ بتوسيع المسجد من الجهات الأخرى ولم يتعرض للحجرة بل قال: "إنه لا سبيل إليها" فأشار ﷺ إلى المحذور الذي يترقب من جراء هدمها وضمها إلى المسجد"[٢].

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز: «لكن لما وَسَّعَ الوليد بن عبد الملك المسجد في عهده أدخل الحجرة في المسجد اجتهادًا منه، وقد غلط، ولو تركها على حالها لكان أسلم وأبعد عن الشبهة»[٣].

وعليه؛ فلا حجةَ في فعل الوليد بن عبد الملك وإدخاله قبر النبي ﷺ وصاحبيه في المسجد؛ إذ إن هذا الفعل وقع منه خطأ وجاء مخالفًا للنصوص الصحيحة الواردة عنه ﷺ، ولم يقع

(٢) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص: ٨٦، ٨٧)، ط مكتبة المعارف- الرياض (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م).
(٣) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الطيار ص(٣٤٢).

بمحضر أحد من الصحابة رضوان الله عليهم، كما أنه لم يسلم من إنكار أهلِ العلم والفضل.

ومع القطع بخطأ فعل الوليد بن عبد الملك - عفا الله عنه - وأنه تمسَّك برأيه على خلاف ما أجمع عليه فقهاء المدينة العشرة، إلا أن «المخالفين لما أدخلوا القبر النبوي في المسجد الشريف احتاطوا للأمر شيئًا ما فحاولوا تقليل المخالفة ما أمكنهم»[١].

قال الحافظ النووي: «لما احتاجت الصَّحابَةُ[٢] رضْوانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعُونَ إِلَى الزِّيَادَة فِي مَسْجِد رَسُول الله ﷺ حِينَ كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَامْتَدَّتِ الزِّيَادَةُ إِلَى أَنْ دَخَلَتْ بُيُوتُ أُمَّهَات الْمُؤْمِنينَ فِيه وَمِنْهَا حُجْرَةُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَدْفِنُ رَسُول الله ﷺ وَصَاحِبَيْه أَبِي بَكْر وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بَنَوْا عَلَى الْقَبْرِ حِيطَانًا مُرْتَفِعَةً مُسْتَدِيرَةً حَوْلَهُ لِئَلَّا يَظْهَرَ فِي الْمَسْجِد فَيُصَلِّيَ إِلَيْهِ الْعَوَامُّ وَيُؤَدِّي إِلَى الْمَحْذُور ثُمَّ بَنَوْا جِدَارَيْن مِنْ رُكْنَي الْقَبْرِ الشَّمَالِيَّيْن وَحَرَّفُوهُمَا حَتَّى الْتَقَيَا حَتَّى لَا يَتَمَكَّنَ أَحَدٌ من اسْتِقْبَال الْقَبْر وَلِهَذَا قَالَ فِي الحديث: "ولولا ذَلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا"، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ"[٣].

والذي احتاط لهذا الأمر على ما يظهر هو عمر بن عبد العزيز، عاملُ الوليد بن عبد الملك على المدينة وقتئذٍ، ولعله بمشورة فقهاء المدينة وأهل العلم فيها.

قال ابنُ أبي زيد القيرواني: «وعمر بن عبد العزيز هو الذي جعل مؤخر القبر محددًا بركن، لئلا يُستقبل قبر النبي ﷺ فيُصلَّي إليه، جعل ذلك حين انهدم جدار البيت فصار للبيت خمسة أركان"[٤].



وقال الحافظ ابن حجر: «لَمَّا وُسِّعَ الْمَسْجِدُ جُعِلَتْ حُجْرَتُهَا مُثَلَّثَةَ الشَّكْل مُحَدَّدَةً حَتَّى لَا يَتَأَتَّى لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ إِلَى جِهَةِ الْقَبْرِ مَعَ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ»[٥].

---

(١) تحذير الساجد (ص: ٨٧، ٨٨)، مصدر سابق.

(٢) قد مرَّ أن توسعة الوليد بن عبد الملك جرت ولم يكن بمدينة الرسول ﷺ أحدٌ من الصحابة رضوان الله عليهم (وينظر: الصارم المنكي، ص ١٣٧).

(٣) شرح النووي على مسلم (٥/ ١٣، ١٤)

(٤) كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، ط مؤسسة الرسالة المكتبة العتيقة بتونس الطبعة الثانية - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، بتحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ ص(١٤١).

(٥) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٠٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لَمَّا أُدْخِلَتْ الْحُجْرَةُ فِي مَسْجِدِهِ الْمُفَضَّلِ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بَنَوْا عَلَيْهَا حَائِطًا وسنموه وَحَرَّفُوهُ لِئَلَّا يُصَلِّيَ أَحَدٌ إلَى قَبْرِهِ الْكَرِيمِ ﷺ»[1].

وذكر في موضع آخر أن الحجرة لما «أُدْخِلَتْ فِي الْمَسْجِدِ سُدَّ بَابُهَا وَبُنِيَ عَلَيْهَا حَائِطٌ آخَرُ. كُلُّ ذَلِكَ صِيَانَةً لَهُ ﷺ أَنْ يُتَّخَذَ بَيْتُهُ عِيدًا وَقَبْرُهُ وَثَنًا»[2].

ويتحصل من مجموع هذه الأقوال أن قبر النبي ﷺ صار محاطًا بثلاثة جدران[3]:

- الجدار الأول مغلق تمامًا، وهو جدار حجرة عائشة.

- الجدار الثاني الذي عُمِل في زمن عمر بن عبد العزيز في زمن الوليد بن عبد الملك، وجعلوه جهة الشمال - وهي عكس جهة القبلة - جعلوها مسنمة؛ لأنه في تلك الجهة جاءت التوسعة - وسعوها من جهة الشمال -، فخشوا أن يكون ذلك الجدار مربعًا يعني مسامتا للمستقبل؛ فيكون إذا استقبله أحدٌ قد استقبل القبر، فجعلوه مثلثًا يبعُد كثيرًا عن الجدار الأول وهو جدار حجرة عائشة؛ لأجل أن لا يمكّن أحدٌ من أن يستقبل القبر لبعد المسافة؛ ولأجل أن الجدار صار مثلثًا. وهذا الجدار أيضًا ليس له باب.

- الجدار الثالث وهو كبير مرتفع عاليًا، وقد بُني حول الجداريْن السالفيْن، وهذا الجدار هو الذي وُضعت عليه القبة[4] فيما بعد، وأيضًا ليس له باب. وهو الذي قال فيه ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية في وصف دعاء النبي ﷺ: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»:

فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دُعَاءَهُ... وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الْجُدْرَانِ

حَتَّى غَدَتْ أَرْجَاؤُهُ بِدُعَائِهِ... فِي عِزَّةٍ وَحِمَايَةٍ وَصِيَانِ

- ثم بعد ذلك وُضع السور الحديدي هذا، وهذا السور الحديدي بينه وبين الجدار الثالث نحو متر ونصف في بعض المناطق ونحو متر في بعضها ونحو متر وثمانين إلى مترين في بعضها، يضيق ويزداد؛ لكن من مشى فإنه يمشي بين ذلك الجدار الحديدي وذلك الجدار الثالث.

وبهذا يصبح قبر النبي ﷺ محاطًا بثلاثة جدران وسور حديدي تفصله عن المسجد.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٢٨).

(٣) ينظر كتاب «كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد» للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١ / ١٣١، ١٣٢) .

(٤) هذه القبة اتخذها السلطان قلاوون الصالحي، أحد ملوك مصر المتأخرين، في سنة ٦٧٨هـ. وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى إنكار هذه القبة في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٨)؛ حيث قال: (ثم بعد ذلك بسنين متعددة بنيت القبة على السقف، وأنكره من كرهه). وقال الصنعاني في تطهير الاعتقاد (١/ ٨٤) مطبعة سفير: «هذه القبة ليس بناؤها منه ﷺ، ولا من الصحابة، ولا من تابعيهم، ولا تابعي التابعين، ولا من علماء أمته وأئمة ملته". "فإذا لم يثبت عنه ﷺ بناء قبة على قبره، ولم يثبت ذلك عن أئمة الخير، بل ثبت عنه ما يبطل ذلك- لم يكن لمسلم أن يتعلق بما أحدثه المبتدعة من بناء قبة على قبر النبي ﷺ" (فتاوى اللجنة الدائمة: ٢ / ٢٦٥).

ومن شديد احتياطهم لإتمام هذا الفصل الكامل بين قبر النبي ﷺ ومسجده الشريف "أنهم أخذوا من الروضة الشريفة التي هي روضة من رياض الجنة كما قال عليه الصلاة والسلام «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**»[1] أخذوا منها قدر ثلاثة أمتار وأكثر لكي يقوم الجدار الثاني ثم يقوم الجدار الثالث ثم يقوم السور الحديدي، فهذا من أعظم التطبيب وهو أنهم أخذوا من الروضة وأجازوا أن يأخذوا من المسجد لأجل أن يصان قبر النبي عليه الصلاة والسلام من أن يُتَّخذَ مسجدًا»[2].

نخلص من هذا كله إلى أن الاحتجاج بوجود قبر النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما داخل مسجده الشريف على جواز بناء القبور على المساجد، لا حجةَ فيه البتة، وذلك من عدة وجوه نجملها في الآتي:

(١) أن الرسول ﷺ إنما دُفن في بيته وليس في مسجده، كما هو متواتر معروف، ثم دُفن معه صاحباه رضوان الله عليهما حين وافتهما المنية، وكل ذلك والحجرة منفصلة عن مسجده ﷺ، وذلك إلى زمن الوليد بن عبد الملك – عفا الله عنه – حين أمر بإدخال حُجَر أمهات المؤمنين إلى المسجد، بعد موت عامة الصحابة وفي غيرِ محضر أحد منهم بالمدينة، وخلافًا لما أجمع عليه فقهاء المدينة العشرة وأهل الفضل فيها.

وقد قوبل فعل الوليد بالنكير من التابعين، وقطع أهل العلم بخطأ فعله وأنه كان من الواجب عليه التزام هَدْي صاحب القبر الشريف ﷺ فيما أمر به وحذَّر منه، وهدْي صاحبيه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان –رضي الله عنهما– في توسعتهما المسجد النبوي دون إدخال القبر فيه.

(٢) أن قبر النبي ﷺ بات الآن محاطًا بثلاثة جدران مختلفة تعمه من جميع الجهات، وبرابع حديدي، وجُعل أحد الجدران الذي مِنَ جهة الشَّمَالِ عَلَى شَكْلِ رَأْسِ مُثَلَّث حتى لا يستقبل أحدٌ القبر الشريف في صلاته، وذلك كله يجعل القبر مفصولًا تمامًا عن مسجده الشريف.

قال الشيخ عطيه محمد سالم: "الْمُشَاهَدُ الْيَوْمَ... وُجُودُ الشَّبَكِ الْحَدِيدِيِّ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّه، وَيَبْعُدُ عَنْ رَأْسِ الْمُثَلَّثِ إِلَى الشَّمَالِ مَا يَقْرُبُ مِنْ سِتَّة أَمْتَار يَتَوَسَّطُهَا، أَيْ: تِلْكَ الْمَسَافَةُ مِحْرَابٌ كَبِيرٌ، وَهَذَا كَانَ فِي الْمَسْجِدِ سَابِقًا، أَيْ: قَبْلَ الشَّبَكِ. مِمَّا يَدُلُّ عَلَى بُعْد مَا بَيْنَ الْمُصَلِّي فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْحُجْرَةِ الْمُكَرَّمَةِ وَبَيْنَ الْقُبُورِ الثَّلَاثَةِ، وَيَنْفِي أَيَّ عَلَاقَة لِلصَّلَاةِ مِنْ وَرَائِهِ بِالْقُبُورِ الشَّرِيفَةِ. وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ"[3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠).
(٢) كفاية المستزيد، مرجع سابق، ص(١٣٣).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٣٥٥)، ط دار الفكر– لبنان (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م).

بل ذهب الشيخ صالح آل الشيخ إلى أن «الموجود اليوم قد يكون صورته عند غير المتأمل وغير الفقيه صورة قبر في داخل مسجد، وفي الحقيقة ليست صورته وليست حقيقته ً أنه قبر في داخل المسجد؛ لوجود الجدران المختلفة التي تفصل بين المسجد وبين القبر؛ ولأن الجهة الشرقية منه ليست من المسجد، وهذا لما جاءت التوسعة الأخيرة كان مبتدؤها من جهة الشمال بعد نهاية الحجرة بكثير حتى لا تكون الحجرة في وسط المسجد من جهة أنه يكون ثمة توسعة من جهة الشرق وثم الروضة من جهة الغرب فتكون وسط المسجد فيكون ذلك من اتخاذ قبره مسجدًا عليه الصلاة والسلام»[١].

يقول الشيخ عطيه محمد سالم - رحمه الله-: «وفي ختام هذه المسألة، وقد أثير فيها كلام في موسم حج سنة ١٣٩٤ في منى ومن بعض المشتغلين بالعلم نقول: لو أنها لم تدخل بالفعل لكان للقول بعدم إدخالها مجال. أما وقد أدخلت بالفعل وفي عهد عمر بن عبد العزيز وفي القرون المشهود لها بالخير، ومضى على إدخالها ثلاثة عشر قرنًا، فلا مجال للقول إذا.

ومن ناحية أخرى، فإن النبي ﷺ سكت على ما هو أعظم من ذلك، ألا وهو موضوع بناء الكعبة، وكونها لم تستوعب قواعد إبراهيم، ولها باب واحد، ومرتفع عن الأرض.

(١) كفاية المستزيد، مرجع سابق، ص(١٣٣).

وكان باستطاعته ﷺ أن يعيد بناءها على الوجه الأصح، فتستوعب قواعد إبراهيم، ويكون لها بابان ويسويهما بالأرض. ولكنه ﷺ ترك ذلك؛ لاعتبارات بينها في حديث عائشة - رضي الله عنها -.

ومن ناحية ثالثة: لو أنه أخذ بقولهم، فأخرجت من المسجد، أي: جعل المسجد من دونها على الأصل الأول.

ثم جاء آخرون، وقالوا: نعيدها على ما كانت عليه في عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، ألا يقال في ذلك ما قال مالك للرشيد - رحمهما الله - في خصوص الكعبة لما بناها ابن الزبير، وأعادها الحجاج، وأراد الرشيد أن يعيدها على بناء ابن الزبير، فقال له مالك - رحمه الله -: لا تفعل؛ لأني أخشى أن تصبح الكعبة ألعوبة الملوك. فيقال: هنا أيضًا فتصبح الحجرة ألعوبة الملوك بين إدخال وإخراج. وفيه من الفتنة ما فيه. والعلم عند الله تعالى"[٢].

كلام العلامة عطية سالم – رحمه الله – سقته للتدليل على اهتمام العلماء بهاته المسألة وإلا ففرق بين إدخال الحجرة والقبر في المسجد وبين إعادة الكعبة على قواعد إبراهيم فالأول محرم ومنهي عنه والثاني مشروع.

وبعد هذا التطواف والتدقيق في الروايات يظهر جليًّا عظم شأن التوحيد وأهميته وتسييجه بسد كل ذريعة تؤدي للشرك.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٣٥٥).

توسعة المهدي بن جعفر المنصور:

بعدما ذهب الخليفة العباسي المهدي بن أبي جعفر للحج، وزار مدينة رسول الله ﷺ، أمر بتوسعة وعمارة المسجد، وولى أمره عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز؛ فزاد في الجهة الشمالية فقط.

واستقر الأمر على ذلك، فلم يزد فيه أحد حتى سنة ست وثمانين وثمانمائة للهجرة، واستمر العمل في البناء أربع سنوات حيث بدأ سنة إحدى وستين ومائة، وانتهى سنة خمس وستين ومائة للهجرة، أي من سنة ٧٩٩ إلى سنة ٧٨٢م.

• وفي عهد نور الدين زنكي (٥٥٧هـ) احتال بعض الروم لدخول الحجرة النبوية؛ فاكتشف أمرهم، فقام نور الدين بالنزول بأساس الجدار إلى منابع المياه، وحفر خندقًا عظيمًا، ثم سكب فيه الرصاص؛ حتى لا يستطيع أحد حفره أو خرقه[1].



مخطط المقصورة الشريفة يوضح الأجزاء المختلفة لها قبل آخر عمارة للحجرات أي قبل عام (٨٨٦ هـ)

توسعة السلطان قايتباي:

انتقل أمر المدينة المنورة إلى ملوك مصر بعد نهاية الخلافة العباسية سنة ٦٥٦م، فلم يزل ملوكها يهتمون بعمارة هذا المسجد الشريف، ومن أعظمهم همة في ذلك السلطان الأشرف قايتباي، فبعد الحريق الثاني للمسجد النبوي، قام قايتباي بعمارة شاملة للمسجد والتي اكتملت في أواخر رمضان سنة (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م).

ووسع الجانب الشرقي الذي يلي المقصورة بمقدار ذراعين وربع ذراع، وجعل للمسجد سقفًا واحدًا، ارتفاعه اثنان وعشرون ذراعًا، أي ما يقرب من أحد عشر مترًا.

---

(١) انظر: وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٤٣١) وما بعدها، وفيه ذكر عن جمال الدين الأسنوي السبب الذي دعا نور الدين زنكي رحمه الله لصب الرصاص بالكيفية المذكورة، لكن الأسنوي لم يذكر السنة، وذكرها السمهودي (٢/ ٤٣٤) عن الجمال المطري.

• وفي عام (٦٦٧هـ) حج الظاهر بيبرس وزار المدينة، وقام بقياس الحجرة وضم لها حجرة فاطمة رضي الله عنها ـ وكانت شمال الحجرة النبوية ـ ثم سافر فعمل للحجرتين معًا درابزينًا من خشب وأرسله عام (٦٦٨هـ) وعمل له ثلاثة أبواب[١]، وكان ارتفاع الدرابزين نحو القامتين[٢]، وزيد له باب رابع في عام ٧٢٩هـ[٣].

• وفي عام (٦٩٤هـ) زاد الملك زين الدين كتبغا على الدرابزين شباكًا دائريًّا عليه، ورفعه حتى وصله بسقف المسجد[٤]، وكان لهذا الدرابزين أبواباً مفتحة؛ لأنه بني على جزء من الروضة الشريفة، وكان الناس يصلون من داخله، فلما صار مأوى للنساء وأولادهن الصغار أغلق وذلك بعد عام (٨٢٨هـ) وإلى يومنا هذا، ولا يفتح إلا للضرورة[٥].

• وثمة جدار رابع بين المقصورة الخارجية والجدار الذي بناه عمر بن عبد العزيز، كانت بدايته دعائم وأساطين القبة الكبرى التي بنيت في عهد قايتباي؛ فكانت سببًا لهذا الجدار[٦]، وكان الذي قام بوضعه بين الدعائم هو السلطان سليمان خان العثماني عام (٩٤٠هـ)[٧]، كما قام بترميم الحجرة النبوية بالرخام وغيره[٨].

• وذكر في أعمال السلطان العثماني محمود الثاني: أنه في عام (١٢٢٨هـ) أقام جدارًا حول الجدار الذي أقيم في عهد عمر بن عبد العزيز[٩]، والذي يظهر أنه تجديد لما بناه السلطان سليمان خان المتقدم ذكره.

• وفي عام (١٢٦٩هـ) في عهد السلطان العثماني عبد المجيد تم هدم الجدار الشرقي وإجراء توسعة بمقدار ثلاثة أمتار ونصف في الممر الذي بينه وبين الحجرة الشريفة، رغبة في إزالة الظلمة والضيق من هذا الممر، واستحدث في وسطه ـ بارتفاع القامة ـ خزائن للكتب وثلاثة شبابيك[١٠].

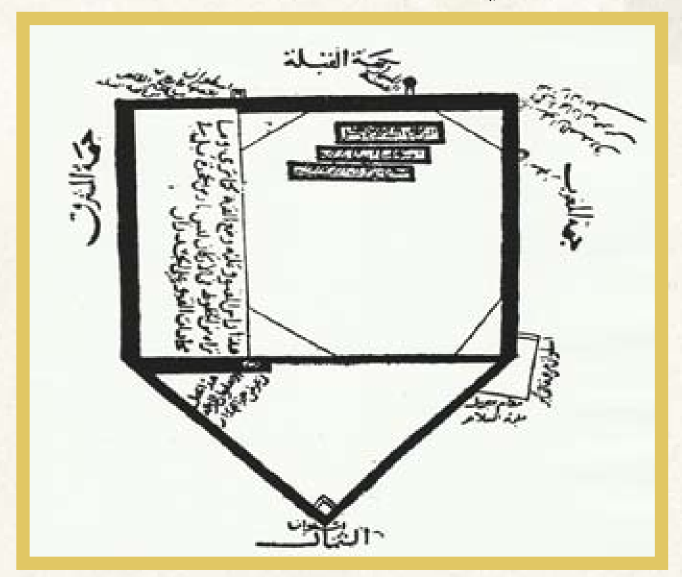
• وفي عام ١٢٧٢هـ في عهد السلطان العثماني عبد المجيد أيضًا تم إضافة ثلاثة أعمدة كبيرة للجانب الشمالي للمقصورة الخارجية، وأسند بأوسطها محرابًا منحوتًا من قطعة واحدة من الحجر الأحمر أقيم في موضع محراب التهجد[١١] خلف حجرة فاطمة رضي الله عنها، والمقصورة الخارجية البادية للناس الآن عبارة عن سور من النحاس والحديد.

• وبعد تولي عرباني زاده أمر التجديدات في الحرم النبوي عام (١٢٧٦هـ) من قبل السلطان عبد المجيد؛ فقام بوضع أخشاب أسفل القبة حماية للحجرة الشريفة من الأتربة والغبار[١٢]، كما قام

---

(١) انظر: وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٨٧)، وتحفة الزوار للهيتمي ص(٢٠٢).
(٢) انظر: تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٨٥).
(٣) انظر: وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٨٧-٣٨٨)، تحفة الزوار للهيتمي ص(١٩٨).
(٤) انظر: تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس، ص(١٨٥)، وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٨٨).
(٥) انظر: وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٩١- ٣٩٣).
(٦) المصدر السابق (٢/ ٣٩٢- ٤١٢).
(٧) انظر: المسجد النبوي في العصر العثماني، ص(٢٠).
(٨) انظر: تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس، ص(١٨٧).
(٩) انظر: المسجد النبوي في العصر العثماني ص(٧٧).
(١٠) المصدر السابق ص(١٠٨).
(١١) انظر: المسجد النبوي في العصر العثماني ص(١١٥).
(١٢) المصدر السابق ص(١٢٩).

بتجديد الجدار الغربي على نفس نمط بقية الجدران[١].



مخطط للحجرة النبوية لما استقر عليه الأمر بعد عمارة السلطان قايتباي

توسعة السلطان عبد المجيد:

ظلت عمارة السلطان قايتباي ثلاثمائة وسبع وسبعين سنة حتى بدا بعض التصدع في أجزاء المسجد؛ فكتب شيخ الحرم في ذلك الوقت وهو داود باشا إلى السلطان عبد المجيد وأخبره بحاجة المسجد إلى إعادة البناء.

فأرسل رمزي أفندي وعثمان أفندي المهندس لإجراء كشف شامل للمسجد وتحديد ما يلزم للبناء، واستعانا بأهل المدينة في التحقيق في حاجة المسجد للعمارة والتجديد، فرجعا إلى الآستانة، وأخبرا السلطان عبد المجيد بصدق حاجة المسجد النبوي الشريف إلى العمارة والتجديد، فعند ذلك جد السلطان وأرسل حليم أفندي واليًا على العمارة وبعث معه المهمات من الآلات والنقود ومجموعة من الخبراء والحجارين والعمال.

وقد تمت هذه العمارة الميمونة سنة (١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م) في شهر ذي الحجة على يد متوليها أسعد أفندي، وقد بلغت نفقات هذه العمارة سبعمائة ألف من الجنيهات المجيدية، وذلك غير المؤن والمهمات الواردة في كل وقت برًّا وبحرًا من الحديد والخشب والرصاص والصفر والدهان ونحو ذلك.

أما العمال والبنائين والحجارين والنقاشين والنجارين والحدادين والسباكين ونحوهم يزيد على ثلاثمائة وخمسين عاملًا غير الكتبة والمهندسين والمأمورين.

- وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني عام (١٢٩٧هـ) تم إصلاح التالف من شبابيك وأعمدة ورصاص القبة[٢].
- وفي عهد الملك عبد العزيز آل سعود جرى ترميم طفيف في الحجرة النبوية؛ لوجود بعض التشققات في الدهان[٣].
- كانت الحجرة الشريفة محاطة بمقصورة، عبارة عن حجرة

(١) المصدر السابق ص(١٣١).

(٢) المصدر السابق ص(١٤٠- ١٤١).

(٣) انظر: تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٨٧).

خاصة مفصولة عن الغرف المجاورة فوق الطبقة الأرضية، من النحاس الأصفر، يبلغ طول المقصورة من أضلعها الجنوبية والشمالية (١٦ مترًا)، وعرضها من الشرقية والغربية (١٥ مترًا)[١].



مخرج حجرة السيدة عائشة كان يستخدمه النبي ﷺ للخروج إلى المسجد

القبة التي فوق الحجرة النبوية:

• لم تكن الحجرة النبوية مغطاة بقبة، بل بحظير من آجر يرتفع مقدار نصف قامة؛ تمييزًا لها عن بقية سطح المسجد(٢)، حتى كان عهد سلطان مصر المملوكي المنصور قلاوون الصالحي(٣) أول من أنشأ القبة.

(١) المصدر السابق ص(١٨٥).
(٢) انظر: تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٨٩)، تحفة الزوار لابن حجر الهيتمي (٢٠١).
(٣) ولي مصر من عام (٦٧٨هـ) إلى أن مات سنة ٦٨٤هـ. انظر: البداية والنهاية في أحداث السنتين المذكورتين.

وذلك في القرن السابع الهجري عام (٦٧٨هـ)، حيث أمر بإنشائها على نفس طراز القباب العمرانية الذي شاع بناؤها في العصر المملوكي، وكانت من الخشب الملبّس بالرصاص[٤] مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها[٥]، وكان الذي تولى أمر بنائها: كمال الدين أحمد بن عبد القوي ناظر قوص[٦]، ثم قام بتجديدها السلطان حسن بن الناصر قلاوون[٧].

• ثم أعيد تجديدها عام (٧٦٥هـ)[٨] في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين[٩].

(٤) انظر: المسجد النبوي في العصر العثماني دراسة معمارية حضارية لمحمد هزاع الشهري ص(٩-١٠)، وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٨٤)، تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٨٩)، تحفة الزوار لابن حجر الهيتمي(٢٠١).
(٥) انظر: تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٨٩).
(٦) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٧/ ٤٩) حيث قال: وقصد خيرًا وتحصيل ثواب، فقال بعضهم: أساء الأدب بعلو النجارين ودق الحطب. وانظر أيضًا: وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٨٥) حيث نصر قول بعضهم واستدل له بحديث رواه أبو داود عن أنس: (أن رسول الله ﷺ خرج فرأى قبة مشرفة فقال: ما هذه...) وساق الحديث وفيه: (أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا، إلا ما لا). أي: إلا ما لابد منه. والحديث صححه الألباني. كما في السلسلة الصحيحة (٢٨٣٠)، وصحيح الترغيب (١٨٧٤).
(٧) انظر: تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٨٩).
(٨) انظر: المسجد النبوي في العصر العثماني ص(٩)، وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٨٦)، تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٨٩).
(٩) انظر: وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٨٦)، تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٨٩).

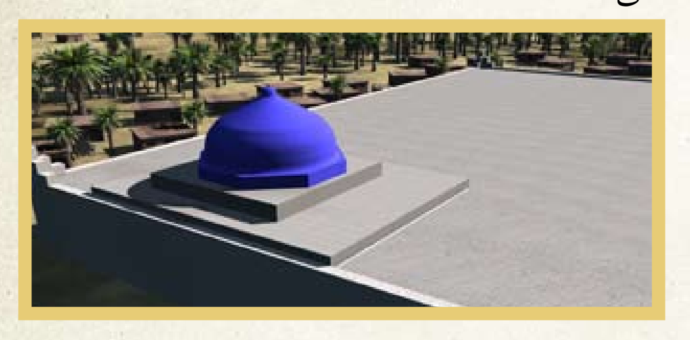
• وفي عهد الأشرف قايتباي عام (٨٨١هـ) ظهر في بعض أخشابها خلل؛ فعضدها متولي العمارة بأخشاب سمرت معها[١]، وقد كانت مياه الأمطار تتسرب من بين الألواح الخشبية وتصل إلى سقف الحجرة الشريفة، وقد وجدوا آثار المياه عليها فأصلحوها كذلك[٢].

• وفي عهد الأشرف أيضًا تم هدم البناء الذي فوق الحجرة وتجديده بأحجار وعقود قوية، ثم بنى فوقه قبة من الحجر الأسود والأبيض (وكان لونها في ذلك الوقت أبيض)[٣] ويقدر ارتفاعها عن سطح الأرض بحوالي ١٠ أمتار[٤].

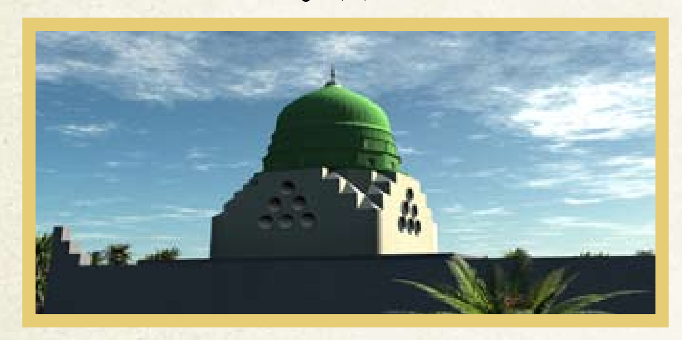
• وفي عام (٨٩٢هـ) تشققت القبة من أعاليها ولم ينفع الترميم فيها؛ فأعيد بناؤها بالبناء المحكم في عهد الأشرف كذلك[٥]، وعمل أيضًا قبة صغيرة بدلًا من السقف الخشبي للحجرة الشريفة[٦]، وتسمى قبة الحجرة الشريفة.

• وكان لون القبة الكبيرة أزرق حتى كان عام (١٢٣٣هـ)، حيث أعاد بناءها السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد خان العثماني وبلغت غاية الإحكام وصبغها باللون الأخضر، وكان هو أول من صبغها بهذا اللون المعروف إلى الآن[٧]، بعد أن كانت تعرف بالقبة البيضاء والزرقاء والفيحاء[٨]، وما زالت القبة على بنائه حتى الآن[٩].

(١) انظر: وفاء الوفا للسمهودي (٢/ ٣٨٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) انظر: المسجد النبوي في العصر العثماني ص(١٠).
(٥) انظر: وفاء الوفا السمهودي (٢/ ٣٨٧)، وتحفة الزوار لابن حجر الهيتمي (٢٠٢)، وتاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٨٩).
(٦) انظر: المدينة النبوية معالم وأحداث لمحي الدين إمام ص(٣٧)، وتاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٨٨).
(٧) انظر: المدينة النبوية معالم وأحداث لمحي الدين إمام ص(٣٧)، وتاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٨٨-١٩١).



(١) القبة باللون الأزرق



(٢) انتقال القبة إلى اللون الأخضر

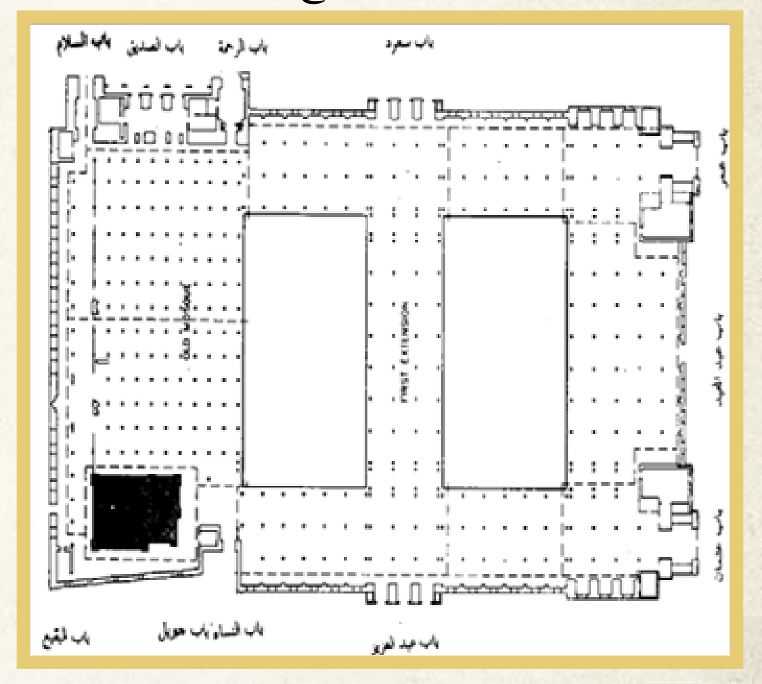
توسعة الملك عبد العزيز آل سعود – رحمه الله –:

أصدر الملك عبد العزيز آل سعود تعليمات بعمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف فأزيلت الأروقة الشمالية من البناء المجيدي بمساحة قدرها (٦٢٤٦م٢)، وأضيف إليها مساحة

(٨) انظر: تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص(١٩١).
(٩) انظر: المصدر السابق، ص(١٨٨).

(٦٠٢٤م٢)، وتمت هذه العمارة ما بين (١٣٦٨/ ١٩٤٩م - ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م).

وبلغت الطاقة الاستيعابية للمسجد (٢٨,٠٠٠) مصل وهذه التوسعة عبارة عن مبنى مستطيل طوله (١٢٨م) وعرضه (٩١م)، ويتوسطه من الشرق إلى الغرب جناح مكون من ثلاثة أروقة.



رسم توضيحي للمسجد بعد التوسعة السعودية الأولى

توسعة الملك فهد -رحمه الله- :

في عام ١٤٠٥هـ قام خادم الحرمين الشريفين بوضع حجر الأساس لمشروع التوسعة، وقد اكتمل العمل في زمن قياسي عندما وضع خادم الحرمين الشريفين آخر لبنة في هذا المشروع المبارك في ٤/ ١١/ ١٤١٤هـ.

وكانت هذه التوسعة عبارة عن مبنى ضخم يحيط العمارة السعودية الأولى من ثلاث جهات، وقد تم تصميمه بحيث يتناسق مع العمارة السابقة ويتكون البناء، من البدروم والدور الأرضي والسطح وقد زود بعديد من الأنظمة المتطورة وفقًا لأحدث الأساليب العلمية.

ومساحة الدور الأرضي (٨٢,٠٠٠م٢) وتستوعب (١٥٠,٠٠٠) مصل وبلغ عدد الأعمدة لهذا الدور (٢١٠٤) عمودًا، تتباعد عن بعضها بمسافة (٦م) لتشكل أفنية بأبعاد (٦×٦م)، أما المناطق التي تعلوها القباب فتبعد الأعمدة عن بعضها بمسافة (١٨م) لتشكل أفنية بأبعاد (١٨×١٨م) ويوجد من هذا النوع (٢٧) فناء مغطاة بقباب متحركة.

أما مساحة السطح المهيأة للصلاة فتبلغ (٥٨,٢٥٠م٢) وتستوعب (٩٠,٠٠٠) مصل، فأصبح مجموع المساحة المبنية والمهيأة للصلاة ضمن التوسعة الأخيرة (١٤٠,٢٥٠م٢) وتستوعب (٢٤٠,٠١٠) مصل، أي حوالي تسعة أضعاف ما كان يستوعبه المسجد بعد التوسعة السعودية الأولى، فتعتبر توسعة وعمارة خادم الحرمين الشريفين أكبر توسعة شهدها التاريخ.

ويضاف إلى ذلك مساحة الساحات المحيطة بالمسجد المهيأة للصلاة وقدرها (١٣٥,٠٠٠م٢) وتستوعب (٤٣٠,٠٠٠) مصل، وهكذا يرتفع مجموع عدد المصلين في المسجد والساحات إلى أكثر من (٦٩٨,٠٠٠) مصل.

توسعة الملك عبد الله - حفظه الله- :

أما توسعة الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله للمسجد النبوي الشريف، والذي أمر بتنفيذها مؤخرًا فإن تكلفتها تصل إلى ٤ مليارات و٧٠٠ مليون ريال.

ويشمل مشروع التوسعة تركيب ١٨٢ مظلة تغطي كل ساحات المسجد النبوي لوقاية المصلين والزائرين والحجاج من حرارة الشمس والمطر، حيث تغطي المظلة الواحدة ٥٧٦ مترًا مربعًا يستفيد منها ٢٠٠ ألف مصل.

إضافة إلى مشروع تنفيذ الساحات الشرقية للحرم الشريف وتبلغ مساحتها ٣٧ ألف متر مربع وتستوعب عند الانتهاء منها أكثر من (٧٠, ٠٠٠) مصل إضافة إلى مشروع مواقف السيارات والحافلات والتي تستوعب ٤٢٠ سيارة و٧٠ حافلة.



ضمن مشروع توسعة الملك عبد الله حفظه الله



الخاتمة

بعد هذا التطواف في دوحة السيرة المباركة نصل لنهاية قصة الحجرة وحاولت جاهدا الجواب عن السؤالين في تقدمت الكتاب كيف كانت؟

وكيف صارت؟

وسرد التاريخ كما هو بكل تقلباته وما يتعلق بهذا من توجيه شرعي أو لطائف نبوية تربوية وعبق من حياته الاسرية وتعبده لربه جل وعلا.

استعرضت واياك حال العرب في الجاهلية وقيام الدين بمهمة بث التوحيد لرب العالمين في البرية ، ثم انتقلت واياك لهجرة النبي ﷺ للمدينة وبناؤ مسجده.

وكيفية البناء وبناء حجرات زوجاته وحققت معنى الحجرة ثم ولجت واياك للحجرة لنحكي حكايا رسول الله ﷺ وقصص أمهات المؤمنين وخصصت صاحبة الحجرة بمزيد بيان لمزيد محبة رسول الله لها ثم حياته الرخية في تلك الحجرات ، وسردت لك زمان وفاته ومحل دفنه.

وترحلنا لخلافة أبي بكر ثم عمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين وما فعلوه بالحجرة ثم تبديل الوليد بن عبد الملك – عفا الله عنه- لشيء من المسجد وادخال الحجرة النبوية مخالفا أمر رسول الله ﷺ ثم أوردت النصوص المانعة لذلك وتوسعت فيها بغية تبيين هذا الحكم لأحبتي المؤمنين وهكذا سرتُ متتبعا ما حصل للحجرة النبوية إلى أن وصلت لعصرنا الحاضر.

وبهذا أكون قد أنهيت رسالتي عن حجرة رسول الله ﷺ وقطوف من سيرته وأحوال مسجده، وهذا قليل من كثير وغيض من فيض، وهي همسة وفاء وبرهان حب ودليل انتماء لسيد الأتقياء ﷺ.

وفي الختام.. هذا جهد المقل، أسأل الله ﷻ أن يتقبله مني ويجعله نافعًا خالصًا لوجهه الكريم؛ ليكون ذخرًا لي في الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

[الصافات: ١٨٠-١٨٢]

المراجع

العقيدة:

١. الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة، محمد بن أسعد الصديقي، تحقيق ودراسة د.عبد الله حاج علي منيب، مكتبة الأمام البخاري، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢. العواصم من القواصم، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي، تحقيق محب الدين الخطيب، ومحمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل ـ بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣. المباحث العقدية المتعلقة بقبر النبي ﷺ، بدر مقبل الظفيري، مطبوعات وزارة الأوقاف القطرية.

٤. تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٥. شرح الصدور بتحريم رفع القبور، الشوكاني، الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ.

٦. عمارة القبور، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، المكتبة المكية ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٧. مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور، عبد العزيز بن فيصل الراجحي، مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

القرآن وعلومه:

٨. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر ـ لبنان (١٤١٥هـ –١٩٩٥م).

١٠. تفسير ابن كثير، دار طيبة، بتحقيق سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١١. روح المعاني، الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

الحديث وشروحه:

١٢. الأدب المفرد، البخاري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٣. الآثار، محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق أبو الوفا الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٤. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.

١٥. الجوهر النقي على سنن البيهقي، ابن التركماني، دار الفكر.

١٦. السلسلة الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى (لمكتبة المعارف) ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

١٧. السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق محمد عبد الباقي عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١٨. السنن الكبرى للنسائي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
١٩. الفوائد، تمام الرازي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٢٠. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٢١. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد مع حاشية الصنعاني، المكتبة السلفية ط١٤٠٩هـ.
٢٢. إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض بن موسى، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٢٣. حاشية السندي على ابن ماجه، تحقيق محمد بن عبد الهادي التتوي، دار الجيل ـ بيروت.
٢٤. سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي.
٢٥. سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
٢٦. سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت.
٢٧. شرح النووي على مسلم ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.
٢٨. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، مكتبة الرشد ـ الرياض، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
٢٩. صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٣٠. صحيح ابن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٣١. صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٣٢. صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٣. طرح التثريب في شرح التقريب، عبد الرحيم بن زين العراقي، تحقيق أحمد بن عبد الرحيم أبو زرعة، دار إحياء التراث العربي.
٣٤. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي العظيم آبادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٣٥. فتح الباري ابن حجر، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديث محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محي الدين الخطيب.

٣٦. فتح الباري، ابن رجب، مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ـ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٣٧. فيض القدير، المناوي، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.
٣٨. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن محمد القاري، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
٣٩. مرويات المزاح والدعابة عن النبي ﷺ، فهد العتيبي، دار بلنسية ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٤٠. مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٤١. مسند أحمد، مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد وآخرون، إشراف د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٤٢. مشكاة المصابيح الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.
٤٣. مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٤٤. مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي ـ الهند، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

التخريج والزوائد:

٤٥. الصارم المنكي في الرد على السبكي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

الفقه:

٤٦. الأم، الشافعي، دار المعرفة ـ بيروت، طبعة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٤٧. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم المصري، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية.
٤٨. المحلى، ابن حزم، دار الفكر بيروت.
٤٩. المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة، طبعة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٥٠. إعلام الساجد بأحكام المساجد، محمد عبد الله الزركشي، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٥١. أحكام الجنائز، الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

كتب ابن تيمية:

٥٢. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، دار عالم الكتب ـ بيروت ط١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل.
٥٣. الإخنائية، ابن تيمية، تحقيق الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
٥٤. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، دار العاصمة ـ السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٥٥. مجموع الفتاوى ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٥٦. منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

كتب ابن القيم:

٥٧. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف ـ الرياض.

٥٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة بيروت ـ مكتبة المنار الإسلامية الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

الرقائق:

٥٩. الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، مؤسسة الرسالة المكتبة العتيقة بتونس، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ.

٦٠. الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر، دار الفكر، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٦١. تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار، ابن حجر الهيتمي، دار الصحابة للتراث ـ طنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٦٢. لطائف المعارف، ابن رجب، دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

السيرة والشمائل:

٦٣. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار العاصمة ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٦٤. السيرة النبوية، ابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت لبنان، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م.

٦٥. اليوم النبوي، عبد الوهاب الطريري، مكة المكرمة.

٦٦. دلائل النبوة البيهقي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٦٧. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٦٨. شرف المصطفى، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، دار البشائر الإسلامية ـ مكة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٦٩. محمد رسول الله، أحمد تيمور بابشا، دار الآفاق العربية، طبعة ٢٠٠٣م.

٧٠. ملاحظات واستدراكات على كتاب بيوت الصحابة ﷺ حول المسجد النبوي الشريف، محمد إلياس عبد الغني، مجلة المشكاة.

التاريخ:

٧١. البداية والنهاية، ابن كثير، دار هجر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٧٢. تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٧٣. المعارف، ابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.

التراجم والطبقات:

٧٤. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول لصديق حسن خان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر - ط١ - ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

٧٥. الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٧٦. الوافي بالوفيات، الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث ـ بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٧٧. تقريب التهذيب، ابن حجر، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد ـ سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٧٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٧٩. سير أعلام النبلاء، الذهبي، دار الحديث ـ القاهرة، طبعة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

البلدان والأماكن:

٨٠. المدينة المنورة ـ تطورها العمراني. تراثها المعماري. صالح لمعي مصطفى ط١ دار النهضة العربية بيروت ١٤٠١هـ.

٨١. المدينة النبوية معالم وأحداث، محي الدين إمام.

٨٢. المغانم المطابة في معالم طابة ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ط١ تحقيق حمد الجاسر ـ دار اليمامة. الرياض ١٣٩٨هـ.

٨٣. أخبار مدينة الرسول ((الدرة الثمينة)) محمد بن محمود بن النجار البغدادي. تحقيق صالح بن محمد جمال ـ مكتبة الثقافة بمكة المكرمة ١٤١٠هـ

٨٤. تاريخ المسجد النبوي، محمد بن إلياس عبد الغني ـ ط١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٨٥. تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة/ زين الدين أبي بكر المراغي/ حققه محمد الأصمعي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ط٢ ١٤٠١هـ

٨٦. عمدة الأخبار في مدينة المختار ـ الشيخ أحمد بن عبد الحميد العباسي ط٤ الناشر أسعد طرابزوني الحسيني ـ توزيع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

٨٧. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

اللغة والعاجم:

٨٨. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت لبنان.

٨٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٩٠. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار الفكر ـ بيروت، ط ١ / ١٤١٤هـ.

٩١. شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث ـ القاهرة، دار مصر للطباعة، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٩٢. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

كتب وأبحاث غير منشورة:

٩٣. المسجد النبوي في العصر العثماني دارسة معمارية حضارية، محمد هزاع الشهري، رسالة دكتوراة غير منشورة بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى (١٤٠٧هـ/ ١٩٧٨م).

الفهرس